شهيرات النساء

من الشرق والغرب

إعداد

محمد عبد الفتاح صادق

الكتاب: شهيرات النساء من الشرق والغرب

الكاتب: محمد عبد الفتاح صادق

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
APA

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

صادق، محمد عبد الفتاح
شهيرات النساء من الشرق والغرب / محمد عبد الفتاح صادق
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٤٨ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٩ – ٥٦ – ٦٨١٨– ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٧٩٥٦ / ٢٠٢٠

شهيرات النساء من الشرق والغرب





مقدمة

غالبا لا يحقق الشهرة إلا المتميز، وبالتالي فتناول سير المشاهير والشهيرات لا يكون من اللهاث نحو الأضواء أو جريا خلف الأجواء الصاخبة، وإنما يكون سعيا لإدراك سر التميز، وسبب النبوغ من أجل الاقتداء بهذه الشخصيات الشهيرة واستلهام دروس حياتها وكيفية تغلبها على ما واجهها من صعاب، وتلك هي القيمة الأهم في تذكر سير الناجحين، فشهرتهم قرينة نجاحهن أو بسبب هذا النجاح.

وكون الشخصيات التي يعرض لها هذا الكتاب من النساء، فهذا يعطيها قيمة إضافية، فالمرأة عادة تتعرض – عبر تاريخها – لقمع تمارسه ضدها قيم وتقاليد ذكورية تضاعف من حجم ما يواجهه الرجل من صعوبات وعقبات، وبالتالي فنجاحهن يكون صعبا عسيرا، فإن تحقق فإنه يصبح دليلا على عظمة وتميز تلك الشخصية.

وهناك قيمة ثالثة يحققها هذا الكتاب، تتمثل في التنوع الشديد لشخصيات النساء، ممن لمع ذكرهن وخلدهن التاريخ بين صفحاته، فهن يتنوعن في انتمائهن بين الشرق والغرب، ويتوزعن على فترات تاريخية متباعدة، ومنهن الشخصية السياسية والأدبية والفنية، هذا التنوع يغني الكتاب ويفيد القارىء خاصة وأن التراجم التي احتواها وإن كانت في أغلبها قصيرة، إلا أنها على إيجازها احتشدت بالمعلومات والطرائف والحقائق التاريخية، وبذلك جاء هذا الكتاب أشبه بموسوعة كاملة لحياة

أولئك الشهيرات يستطيع القارئ منه أن يلهم إلماماً واسعاً دقيقاً بحياتهن وما اكتنفها من حوادث وأحداث.

وسيجد القارئ إذ يطالع هذه التراجم إنني راعيت في اختياري لها عدة أشياء أبرزها التنويع مع الدقة في الأداء، فجاء الكتاب كموسوعة مختصرة تعرض من خلال الشخصيات النسائية للعصور المختلفة التي عاشتها أولئك النسوة، بعرض تاريخي شامل لمختلف العصور التاريخية عرضاً صحيحاً، وهي في الوقت ذاته قصص حية خالدة لا غنى للإنسان عن الإلمام بها ومعرفتها لاستزادة ثقافته ومعلوماته الأدبية والتاريخية.

وينقسم الكتاب داخليا إلى قسمين القسم الأول بعنوان "نساء شهيرات" ويضم تراجم لعدد خمسين شخصية نسائية تاريخية وأدبية شهيرة، يبدأها بترجمة السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف أم النبي صلى الله عليه وسلم، يتلوها " آن لويز " ابنة وزير مالية فرنسا الشهير، هكذا ينتقل الكتاب برشاقة بين شخصية شرقية وأخرى غربية، ويواصل التنقل كنحلة تلتقط الرحيق لتصنع منه شهدا هو خلاصة تجارب وسير حياة أولئك الشهيرات، فانتقل من أوجيني إمبراطورة فرنسا إلى أسباسيا زوجة بركليس، وهي شخصية أسطورية من أشهر نساء اليونان جمالا وفصاحة وبلاغة وخطابا، وكانت تشارك زوجها في كل أعماله، وفي أي مكان حتى في ميادين القتال، و بعد أن مات بركليس قبلها وتزوجت بعده رجلاً من التجار لمع صيته بسببها بعد ذلك وصار من مشاهير أثينا وخطبائها.

وبعد خمس شخصيات غربية يقدم ترجمة السيدة أسماء ابنة أبي بكر الصديق أو ذات النطاقين، لأنها صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاماً حينما هاجر، فلم تجد ما تشده به فشقت نطاقها وشدت به الطعام.

بعدها يحكي قصة بلقيس ملكة سبأ صاحبة القصة المشهورة مع النبي سليمان بن داود ورد ذكرها في الكتب المنزلية واشتهرت في كتب التاريخ وضرب بها المثل في المجد والسلطان والجمال، وقد اختلف الرواة حولها وتنوعت الأساطير في نسبتها وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن آخر أربعين ملكاً من ملوك اليمن، ولم يكن بين ملوك الأرض من هو أعظم منه.

وكما في حالات المزج في سيناريوهات الأفلام السينمائية ينتقل بنا الكتاب مباشرة من ترجمة بلقيس ملكة سبأ إلى بمبادور عشيقة الملك الفرنسي لويس الخامس عشر، ثم يرتد بالقارىء إلى العصر العباسي ليعرض ترجمة بوران ابنة الحسن بن سهل، وبعدها بنلوب الشخصية اليونانية الأسطورية، ويستمر النهج هكذا حتى ينتهي القسم الأول الذي يترجم لخمسين شخصية من شهيرات النساء.

أما القسم الثاني وعنوانه القسم الثاني "عشرون قصة غرام لأشهر العاشقات" فيضم قصص حب تاريخية لعشرين امرأة ممن عشن قصص الحب الشهيرة في الشرق والغرب، مع بيان ما اشتملت عليه حياتهن من ألوان متباينة في المغامرات والتضحيات والآلام والانتقام والفداء

والمباهج والأحزان والأسرار، وهذا دفع الكتاب إلى الإطالة النسبية في المساحة الممنوحة لكل شخصية، على العكسمن التراجم الموجزة التي ضمها القسم الأول من الكتاب.

القصة الأولى بطلتها الإسبانية ألينورا، الجميلة التي لم يكد يراها الفونس الحادي عشر ملك قشطالة حتى جن بها ولما مات الملك الفونس عام ١٣٥٠ أتيحت الفرصة للمملكة المهانة، لتنتقم من عشيقته الينورا فألقت القبض عليها في أشبيلية عام ١٣٥١

أما أمستريس زوجة دارا ملك فارس، فقد أحبت زوجها وأخلصت له لكنها تعرضت للخيانة، فزوجها قد هام بحب زوجة شقيقه، ولا يكاد التاريخ يروي بين صفحاته انتقام امرأة مهانة في قلبها كقصة امستريس، فإن هذه المرأة جمعت في ثناياها أروع ما يكتنف قلب امرأة إذا أحبت وامتهن حبها، إنها تصير أشبه بالحيوان المتمرد الكاسر الذي لا يعرف حدوداً أو قيوداً لانتقامه أو النيل من فريسته.

بعدها يعرض الكتاب لقصة الحب الشهيرة بين الشاعر جميل ومعشوقته بثينة، حيث تمتلىء حياتهما بالمناسبات التي عبرا فيها عن ألوان الحب.. ويقال إن أول لقاء لما كان في واد بغض وكان لجميل بعض الأبل "رعى في ذلك الوادي وكان أهل بثينة في جانب من ذلك الوادي فأقبلت بثينة ومعها صاحبة لما لتشربا من ماء جدول فنفرت منها الأبل، فسبها جميل، لأنها انتهرت أبله فبادلته السب هي أيضاً .

ومن معشوقة الشاعر العربي إلى معشوقة شعراء أوروبا أو "جنفياف" المولودة في فرنسا عام ٦٨٠ ميلادية وكانت من أجمل النساء وأرقهن حديثاً .. وكانت في العشرين من عمرها عندما التقت بفتاها سجفريد، فتحابا حباً عنيفاً وكان سيجفريد فارساً شجاعاً، فاختاره شارل مارتل لقيادة كتيبة من جنده المعد لمقاتلة العرب في المغرب. واستودع حبيبته إلى وكيل أملاكه. ولما رحل سيجفريد طمع الوكيل في امرأة سيده جنفياف وأخذ يراودها عن نفسها، لكنها لم تستجب له فحقد عليها وأضمر لها السوء بين جنبيه، فلما عاد زوجها أدخل الوكيل عليه الوشاية بأن امرأته خانته في غيبته وأن وليدها ليس ابنه .. فصمم على قتلها ووليدها درءاً للعار المزعوم.. وبعث بها بعض رسله ليقتلوها في غابة بعيدة مع طفلها، وشاءت الأقدار أن يحنو عليها أولئك الرسل . فأطلقوا سراحها في الغاب وأوهموا سيدهم بأنهم نفذوا مشيئته، ودارت الأيام دورتها وعلم الزوج المخدوع أن زوجته بريئة وأن طفلها هو ابنه وأن أحدا لم يمسسها بسوء .. فهاله الأمر، وخاصة إذ اعتقد أنها قد ماتت ضحية تسرعه، وندم ندماً مروعاً لا يكاد يبارحه وبينما هو ذات يوم في إحدى جولاته البعيدة بغابة نائية لقيها عرضاً، فبكى سروراً وتأثراً وتعانقاً طويلاً.

كذلك يعرض الكتاب لسيرة راشيل الممثلة الفرنسية العظيمة، التي لمع نجمها في أوربا في القرن التاسع عشر واحتلت مكان الصدارة بين الممثلات جميعاً لمقدرتها الفائقة ونبوغها المنقطع النظير.

ولقصة حب الليدي روسل وهي ابنة توماس روتسلي الذي كان وزيراً لمالية انجلترا وكانت كاتبة من أحسن كاتبات انجلترا وأعلاهن شأناً، ثم يعود إلى قصص الحب العربية فيحكي عن سعدي الأسدية، ثم عزة حبيبة كثير، ثم يعود لقصة فيدرا، وكانت قرينة لأحد ملوك أثينا الأقدمين وحدث أن سافر قرينها في احدى الرحلات البعيدة، فهامت فيدرا بحب ابنه أبيوليت وباحت بسرها إلى وصيفة لها كانت أمينة سرها وتدعى أوتون. أما أبيوليت فكان يحب فتاة أخرى تدعى أديسيا وكان الملك قد سجنها في إحدى القلاع وكانت الفتاة بدورها تحمل هوي حاراً لابيوليت دون أن يعلم أحد منهما عن الآخر شيئاً.

وهكذا يستمر الكتاب في تحليقه بين الماضي البعيد جدا والماضي القريب نسبيا، و الارتشاف من رحيق قصص شرقية وغربية ليقدم خلاصة سيرة سبعين امرأة شهيرة في حياتهن عظة وعبرة.

محمد عبد الفتاح صادق

القسم الأول

نساء شهيرات



آمنة بنت وهب

آمنة بنت وهب بن عبد مناف أم النبي صلى الله عليه وسلم، قال القرماني: أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى به أنها حكيمة قومها، وكانت فصيحة اللسان على نحو لم يسبقها إليه أحد من نساء العرب، توفيت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بست سنوات ودفنت بالإيواء وجاء في معجم ياقوت أن السبب في دفنها هناك أن عبد الله والد الرسول كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً فمات بالمدينة فكانت زوجته آمنة تخرج إلى المدينة تزور قبره فلما أتى على رسول الله ست سنوات خرجت زائرة لقبر زوجها فيما بلغت الإيواء في طريقها إلى مكة ماتت هناك وقيل دفنت بدار رائعة، وهو موضع مكة وقيل بمكة في شعب أبي دب وكانت من شاعرات العرب المجيدات.

آن لويز

هي ابنة الكونت نكر وزير مالية فرنسا الشهير، ولدت بباريس عام ١٧٦٦ وكانت أديبة بارعة استحدثت مذاهب شتى فيه حتى سميت فولتير النساء، وتأثرت في ثقافتها تأثير كبيراً بفلسفة جان جاك روسو وقد لعبت آن دوراً عظيماً في خلال الثورة الفرنسية إذ عمدت إلى خلاص بعض الشخصيات الكبيرة من الجيلوتين، وعندما تولى نابليون زمام الحكم أراد أن يضمها إلى جانبه ولكنها وقفت تناهضه حتى اضطر إلى نفيها خارج فرنسا، فأقامت في سويسرا وكانت تحب فرنسا حباً عميقاً وتهفو إلى العودة إلى باريس، وماتت في ١٤ يوليه عام ١٨١٧ بعد أن جالت جولات كبيرة في النمسا وروسيا والسويد وانجلترا، وقد لقيت في انجلترا ترحيباً كبيراً لمكانتها الأدبية.

آريا الرومانية

اشتهرت بشجاعتها، فقد اتهم ابن زوجها بتدبير مؤامرة ضد الإمبراطور، فحكم عليه بأن يقتل نفسه فلكي تشجعه أخذت خنجراً وطعنت به نفسها، ثم ناولته إياه وقالت خذه فإنه لا يؤلم وماتا معاً فضرب بها المثل في التضحية والفداء.

انياس خليلة شارل السابع

ولدت عام ١٤٠٩ وتوفيت عام ١٤٥٠ وكانت في أول أمرها رفيقة لدوقة المجر، وفي عام ١٩٣١ صحبت سيادتها إلى باريس وزارت بلاط شارل السابع، فلما رآها شارل فتن بجمالها وسحرته بمحاسنها فأبقاها لديه وجعلها رفيقة للمملكة ثم اتخذها عشيقة، وإليها يعود الفضل في استشارة جمعيته ضد الانجليز، فأنقذت بذلك فرنسا بعد أن كان الملك شارل قد ركن إلى حياة الدعة والهدوء.

ووهبها الملك قصراً جميلاً أسماه قصر الجمال وعرفت عند الفرنسيين باسم "مدام لابوتي" أي سيدة الجمال.

وما لبث رجال البلاط أن انقلبوا عليها بعد وفاة سيدهم، ولقيت من ابنه ألواناً من الهوان وماتت عام ١٤٥٠ وقيل أنها ماتت بالسم الذي دسه لها ابن الملك.

أوجيني إمبراطورة فرنسا

ولدت أوجيني بغرناطة في أسبانيا، في ٥ مايو ١٨٢٦ وربما يفسر هذا سر قربها من الشرق، حيث لا نزال نبكي على أطلال الإندلس.. اسمها بالكامل «أوجيني دي مونيتو كوتيسه»، وتلقت علومها في فرنسا، وأجادت الكثير من اللغات كالإسبانية، الفرنسية والإنجليزية.

هي زوجة شارل لويس بن لويس نابليون الذي تولى العرش باسم نابليون الثالث، وكانت مشهورة بجمالها الأخاذ وقد حدث لها في حياتها من ضروب الحفاوة والتكريم ما لم تظفر مثله إلا القليلات وذلك عند زيارتها لمصر في حفلة افتتاح قناة السويس ولما قدمت القسطنطينية استقبلها السلطان عبد العزيز حتى المرفأ.

مع جمالها الفاتن كانت صاحبة شخصية قوية، فهي التي انهت عصرا من الحروب بين قطبي أوروبا في القرن «السابع والثامن عشر» فرنسا وانجلترا، حين زارت الإمبراطورية التي لم تكن تغيب عنها الشمس برفقة زوجها «نابليون الثالث» منهية خصومة طويلة، وردت الملكة فكتوريا وزوجها البرت الزيارة، فزادت شعبية أوجيني لدرجة أن الشعب الفرنسي أطلق على ابنها «ابن فرنسا». وبسبب ذكائها وجمالها أصبح لأوجيني حساد وكارهون، وبسبب أنها كانت سياسية ماهرة حاول الناقمون عليها اغتيالها، وتقول المصادر التاريخية إنها قد تعرضت ذات ليلة باردة من ليالي شهر يناير عام ١٨٥٨م لمحاولة اغتيال أثناء ذهابها

هي وزوجها لدار الأوبرا، حيث تم إلقاء ثلاث قنابل على عربتها في الموكب، لكن القنابل انفجرت أسفل عجلات المركبة التي كانت تستقلها وزوجها، وقتل عدد من الحراس والحاشية.

ومن المعلوم أن الملكة أوجيني زارت مصر مرتين، ففي ١٦ نوفمبر ١٨٦٩م، كانت في الأولى ملكة متوجة وزوجة إمبراطور، في احتفال قناة السويس، ثم زارتها مرة أخرى كامرأة عادية، بشكل سري عام ١٩٠٥م بعد القضاء على حكم زوجها نابليون الثالث.

وقد ارتبطت سيرة "أوجينى" بقصص غرامية مرتبطة بالخديو إسماعيل فقيل إن "إسماعيل" خلال دراسته فى فرنسا، فترة شبابه، وقع فى غرام شابة فائقة الجمال، أصبحت إمبراطورة فرنسا. ويرى عدد من المؤرخين أنه أثناء دراسة الخديو إسماعيل بفرنسا، أحب فتاة، ثم فوجئ بعد ذلك أنها تزوجت من نابليون إمبراطور فرنسا، وبعد أن صار هو الخديو دعاها فى حفل افتتاح قناة السويس.

ولما نشبت الحرب بين فرنسا وألمانيا نصحها زوجها الإمبراطور خليفة له على العرش تنظر في أمر البلاد في أثناء غيابه ولكن الدائرة لم تلبث أن دارت على زوجها فانهزم زوجها أمام الجيوش الألمانية. فمات ولحق به وحيدها إلا أنها نكبت فيه أيضاً إذ ذهب ضحية رمح مسموم إصابة أثناء رحلة إلى أفريقيا، فأظلمت الدنيا أمام ناظريها وأمضت باقي أيامها في الحياة أسيرة للآلام والأحزان حتى ماتت في ١١ يوليو ١٩٢٠، عن عمر ناهز ال ٩٤ عاما، فأسدل الستار على حياتها التي شهدت أبهى ألوان السعادة وأقيم ألوان الشقاء.

أسباسيا

أسباسيا زوجة بركليس، من أشهر نساء اليونان حسناً وفصاحة وبلاغة وخطايا، وكانت تشارك زوجها في كل أعماله، حتى في ميادين القتال فذاع صيتها وصارت لها المكانة الأولى بين نساء اليونان قاطبة وكانت لها ندوة أدبية يتقاطر عليها العلماء والشعراء والرياضيون حتى وصفتها إحدى المؤرخات، بأن بيتها كان أعظم بيت من بيوت عطاء اللاتينيين، وكان زوجها يسير إلى جانبها في الطرقات يتجاذب معها أطراف الحديث في السياسة والفلسفة وهي طويلة القامة، ممشوقة القد، شقراء، نجلاء المعينين، شماء الأنف، حمراء الوجنتين والشفتين، لابسة رداء أبيض على ردنيه أبازيم من الذهب وفوقه رداء قصير من الأرجوان مطرزة أذياله بالذهب وعلى كتفيها رداء ثالث مسلول عليها سدلاً والنسيم يعبث به في ذهابها وإيابها فتخالها ملكاً ناشراً جناحيه للطيران.. وفي أصابعها خواتم الذهب مرصعة بالأحجار الكريمة. ولم تكن أسباسيا من ربات الدلال بل كانت ذات عقل رزين يفد إلى منزلها الفلاسفة ورجال السياسة، كسقراط وأفلاطون فتباحثهم في الفلسفة والسياسة وكل ألوان الحديث ولم تكن أسباسيا من أثينا ولذلك لم تحسب زوجة شرعية لبركليس لأن شريعة أثينا كانت تحرم على الأثينيين اتخاذ زوجات أجنبيات إلا أن جمالها المفرط وسمو عقلها وكثرة فضائلها ألجمت الناس عن الطعن فيها وإن كان ذلك لم يحل دون قيام مؤامرة ضدها بأنها

تحتقر بنات أثينا، بل اتهمت في شرفها ومضى بركليس يدافع عنها، كما تطوع بالدفاع عنها بعض الفلاسفة.

ومات بركليس قبلها وتزوجت بعده رجلاً من التجار لمع صيته بسببها بعد ذلك وصار من مشاهير أثينا وخطبائها.

أسماء ابنة أبي بكر الصديق

ولدت السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قبل الهجرة بحوالي ثلاث وعشرين سنة، وهي أخت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، وزوج سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه، وأم عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير رضي الله عنهما، وكانت من أوائل الذين أسلموا، وآخر المهاجرات وفاةً.

السيدة أسماء رضي الله عنها لها مآثر عظيمة في حياتها أهمها: قيامها بمهمة خطيرة أثناء هجرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع أبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله؛ فقد كانت تجهز لهما طعام السفر، فلم تجد ما تربط به الطعام، فشقَّت خمارها نصفين وربطت في أحدهما الطعام وارتدت الآخر، فرُوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: «أَبْدَلَكِ اللهُ بِنِطَاقِكِ هَذَا نِطَاقَيْنِ فِي الجَنَّةِ»، فسُمِّيَتْ بذاتِ النِّطاقَين.

عاشت رضي الله عنها حياة خَشِنَةً بعد زواجها من الزبير بن العوام رضي الله عنه؛ إذ كان فقيرًا لا يملك غير فرسه، وكان في طبعه شدة وكان يغار عليها، فكانت السيدة أسماء رضي الله عنها تعتني بالفرس وتعلفه وتدق النوى وتحمله على رأسها مسافة طويلة من أرض الزبير رضي الله عنه التي أقطعها له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من عظيم عنايتها بزوجها وصبرها معه وتقديرها له أن النبي صلى الله عليه

وآله وسلم لقيها وهي تحمل النَّوى فأراد أن يحملها على دابته تخفيفًا عنها، لكنها اعتذرت له لما كانت تعلمه عن زوجها من غيرةٍ عليها، فأخبرت الزبير رضي الله عنها، فقال لها: "والله، لحَملُكِ النَّوى كان أشدَّ عليَّ من ركوبِك معه".

واستمرت على هذا الحال حتى أرسل لها أبو بكر رضي الله عنه خادمًا تخفف عنها بعض هذا الحمل الثقيل، فكفتها سياسة الفرس، قالت السيدة أسماء رضي الله عنها عن هذا الموقف من أبيها: "فكأنما أعتقني."

وقد روت رضي الله عنها حوالي (٥٨) حديثًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثًا، وانفرد البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بأربعة.

وكانت السيدة أسماء رضي الله عنها امرأةً سخية كريمة، قال ابنها عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه: "ما رأيتُ امرأة قط أجود من عائشة وأسماء رضي الله عنهما؛ وَجُودُهُمَا مختلف: أما عائشة، فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء، فكانت لا تدَّخِرُ شيئًا لغدٍ."

كما كانت شُجاعةً كريمةَ النَّفس، فلما كثُرَ اللصوص بالمدينة زمن سعيد بن العاص رضي الله عنه، اتَّخَذَتْ خنجرًا، كانت تجعله تحت رأسها.

وحين تعرَّض ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه للحصار بعدما

دعا لنفسه بالخلافة، قالت له: "يا بنيّ، عِشْ كريمًا، ومُتْ كريمًا، لا يأخذك القوم أسيرًا"، وقد كانت في هذا الوقت في سنٍّ كبيرة جدًّا، حوالي مائة سنة، ولكنها ظلَّت محتفظة بطباعها القويَّة، وكرامتها الأبيَّة.

وكانت السيدة أسماء قد طلَّقها الزُّبير فعاشت حياتها حتى وافتها المنيَّة، تتحمل الأحداث الِجسام، راضيةً بقضاء الله، وقد تُوفِّيَتْ سنة (٧٣هـ)، رضي الله عنها وأرضاها.

إليزابيت كار من سيلفا

إليزابيت كارمن سيلفا ملكة رومانيا، وهو الاسم الذي اختارته لنفسها ولدت في ٢١ ديسمبر عام ١٨٤٣ واشتهرت إلى جانب جمالها الساحر بأنها كبيرة أديبات رومانيا، وإليها تنسب النهضة الأدبية في تلك البلاد وخاصة في الشعر، وقد ترجمت إلى الفرنسية أكثر أعمالها الأدبية ونالت ذيوعاً وانتشاراً بين كافة الأوساط ومن أشهر كتبها "خطرات أفكار ملكة".

بلقيس ملكة سبأ

وهي المشهورة قصتها مع النبي سليمان بن داود، ورد ذكرها في الكتب المنزلية واشتهرت في كتب التاريخ وضرب بها المثل في المجد والسلطان والجمال. اختلف الرواة وتنوعت الأساطير في نسبتها وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن آخر أربعين ملكاً من ملوك اليمن، ولم يكن بين ملوك الأرض من هو أعظم منه.

ولما دان لبلقيس الملك به حوادث رهيبة عظم شأنها وكمثر جندها واتسع نطاق ملكها حتى قال به بعضهم أنه كان تحت يدها ٤٠٠ ملك كل ملاك منهم على إقليم وله ٤٠٠٠٠ مقاتل وكان لها ٣٠٠ وزير يدبرون ملكها وكان لها ١٢ قائداً يقود كل قائد منهم ١٢ ألف مقاتل أما عرشها فقيل انه كان سريراً ضخماً من ذهب وفضة مرصعاً بالجواهر، وكان في جوف سبعة بيوت عليها سبعة أبواب كل بيت داخل الآخر وعرشها في آخر بيت لها وكان مقدم عرشها الشهير من الذهب منضداً بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكللاً بأنواع الجواهر واللآلئ وله أربع قوائم: قائمة من ياقوت أحمر، وقائمة من ياقوت أصفر وقائمة من زبرجد أخضر وقائمة من در أبيض وصفائح السرير من ذهب وقيل أن بلقيس اتفقت على الكرة التي تدخل منها الشمس فتسجل ذا ٣٠٠ ألف أوقية من الذهب.

وقصتها مع سليمان عليه السلام مشهورة وقد ورد ذكرها في القرآني الكريم وقيل أن بلقيس ماتت قبل سلمان بالشام وانه دفها بتدمر وأخفى قبرها عن الناس.

بمبادور خليلة لويس الخامس عشر

ولدت عام ١٧٢١ في باريس وتوفيت عام ١٧٩٤، وهي جزار عنيت أمها بتربيتها ثم زوجها عام ١٧٤١، وبينما كان الملك في إحدى رحلات الصيد بضواحي باريس رآها، فهام بها وأحبها واشتهرت باسم المركيزة بمبادور.

واشتهرت معاونة الأدباء ورجال الفن، وبلغ سلطانها شأوا عظيماً في جميع مرافق الدولة، حتى بعد أن فترحب الملك لها لم يضعف نفوذها في دوائر الحكم. وكان كبار الدولة يتملقونها. وقد انتقمت من أبعد وما ردحاً من الزمن عن البلاط.

وكانت تنفق المال بسخاء منقطع النظير، وساعدت فولتير مساعدات كثيرة.

بوران

بوران ابنة الحسن بن سهل، كانت من أحسن نساء جيلها وأجملهن وأكرمهن وأفضلهن أدباً وعقلاً، وقد ألت إلماماً كبيراً بفنون الموسيقى والطرب وتربت في بيت أبيها الوزير حسن بن سهل وخالطت نساء الرشيد، ولما ولى المأمون افتتن بها وخطبها من أبها الحسن وقد زفت إليه في مدينة فم الصلح بالقرب من بغداد في شهر رمضان عام ٢١٠ هجرية.

ولم يبلغ في التاريخ ما بلغه زفاف بوران من البذخ والأسراف حتى قيل أن والدها أتفق في عرسها ٥٠ مليون درهم.

بنلوب

ويضرب بها كمثل أعلى في الماء المقيم على العهد، وتعد قصتها من أروع القصص وأسماها.

وتفصيل قصتها أن كثيرين من الخطاب تقدموا لخطبتها إلا أن والدها وعد بها من يغلب في سباق العدو فكان الفوز من نصيب عولس ولما ألح علمها أبوها أن تبقى إلى جانبه ولا ترافق زوجها عولس إلى حيث كان ذاهباً إلى رحلة بعيدة، سمح لها زوجها بأن تفعل ما تشاء فأظهرت عزمها على مرافقته وسهرت وجهها خجلاً.

وبعد ذلك ذهب زوجها للاشتراك في حربه ترواده فأحاط ها عشاق كثيرون يطلبون يدها بعد أن طال الحصار وانقطعت أخبار زوجها فدعاهم بقولها: أنه يجب أن تكمل كفناً كانت تنسجه لعمها الشيخ قبل أن يقرر رأيها بإيجاب، إلا أنها كانت تعمل ليلاً كل ما كانت تنسجه نهاراً، فلما عرف عشاقها بمكيدتها كان عولس قد عاد بعد أن غاب عشرين سنة فقتلهم جميعاً.

ولكن حسادها أشاعوا عنها بالباطل أنها ولدت بنتاً من أحد عشاقها، فطلقها زوجها عند رجوعه من ترواده فذهبت عند ذلك إلى اسبرطة ومنها إلى لدمنتينا حيث ماتت.

وقد صارت قصتها من بعدها كمثل رفيع للوفاء، وإن كانت لم تلق عليه الجزاء الذي كانت تنتظره من بعلها الذي صدق أقوال الوشاة عنها فراحت ضحية مكيدتهم.

بلنش ملكة فرنسا

ولدت عام ١١٨٧ وتوفيت عام ١٢٥٢ وهي ابنة الفونس التاسع ملك قسطيله وكانت متزوجة من الملك لويس الثامن ملك فرنسا وابنها هو الملك لويس التاسع الذي خاض الحرب الصليبية بالرغم من معارضتها الشديدة، وفي أثناء غيابه خارج بلاده تولت الحكم بدلا عنه ولا أسر ابنها الملاك لويس التاسع في مصر التزمت بدفع فدية عظيمة لإنقاذه وقواده وجيشه وحكمت بلادها في تلك السنوات حكماً يتم على اتساع تجاربها وقوتها.

تماضر الشهيرة بالخنساء

هي ابنة عمرو بن الحارث واشتهرت بالخنساء بشعرها وخاصة في رثاء أخوها معاوية وصخر وكان معاوية أخاها لأمها وأبيها وكان صخر أخاها لأبيها وأحبها إليها واستحق صخر ذلك منها لأنه كان موصوفاً بالحلم مشهوراً بالجود معروفاً بالتقدم والشجاعة، وأنه أجمل رجل في العرب فلما قتل جلست الحذاء على قبره زماناً طويلاً تبكيه وترثيه وكانت في أول أمرها تقول البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها معاوية وصخر وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشهر منها.

وديوان شعرها مشهور وهو حافل بأروع الشعر وأرقه و من أرق ما قالته في الرثاء:

يـــذكرني طلـــوع الشـــمس صـــخراً ... وأذكـــره لكـــل غـــروب شـــمس

ولـــولا كثـــرة البـــاكين حـــولي ... علـــى موتـــاهم لقتلـــت نفـــس

ومـــا يبكـــون مثـــل أخـــي ولكـــن ... أعـــزي الـــنفس عنـــه بالتأســـي

ومن شعرها أيضاً:

أعـــين جـــودا ولا تجمـــدا ... ألا تبكيـــان لصـــخر النـــدا

ألا تبكيـــان الجـــريء الجميـــل ... ألا تبكيـــان الفتـــى الســـيدا

طويـــل النجـــاد رفيـــع العمـــا ... د ســـاد عشـــيرته أمـــردا

جان دارك

ولدت عام ١٤١١ ميلادية وكان والدها راعياً ولما بلغت الخامسة من عمرها أخذت ترى في نومها رؤيا علوية، فزعمت أن الملائكة تتجلى لها بمظهر نوراني، فلما سمع والدها بذلك ضربها ضرباً مبرحاً حتى اضطرت إلى الفرار منه حينا لتشتغل خادمة عند إحدى الأرامل من صاحبات الفنادق وهنالك بدت مثلاً للفتاة المجلة النشيطة العفة، وكانت فرنسا وطنها الحبيب إليها تتقاذفه أطماع الانجليز المغتصبين، وهم يسومون أبناءه ألوان التعذيب والاضطهاد.

وعاودت الرؤيا جازدارك بأنها مبعوثة لانتشال قومها من وهدتهم ولم تلبث أن شخصت متجهة إلى مقر شارل ملك فرنسا عام ١٤٢٩ وبعد أن سارت على قدميها أياماً طويلة وصلت إليه وهي متخفية في زي أحد الفرسان ممتشقة سيفاً فلما مثات بين يديه أخبرته بأنها ستكون منقذة العرش ورافعة الحصار عن أورايان، ولم يلبث أن قبل الملك دعوتها بعد تردد طويل وسارت في مقدمة الجيش حتى التقت بجيوش الأعداء من الانجليز فأبدت من ضروب الشجاعة الخارقة ما أذهل العقول حتى ظفرت بالقصر وأنفك الحصار عن مدينة أورليان ومضت جان دارك تنبئ الملك بفوزها وكان صيتها قد انتشر بين كافة الأرجاء حتى كان القرويون يسجدون عند مواطئ قدميها فلما بلغت مقر الملاك قوبلت باحتفال عظيم.

وأعقبت ذلك سلسلة باهرة من انتصاراتها المتلاحقة على الانجليز، حتى تم لما تتويج شارل وبعد حفلة التتويج وكانت جان دارك كعهدها دائماً في ثوب فارس، جثت عند قدمي الملك طالبة إليه تسرحها بعل أداء مهمتها ولكنه رفض لأن الأمة كلها كانت متعلقة بها، فساءها ذلك، لأنها أحست بأن مهمتها قد انتهت واعتراها وجوم وصمت.

وبعد عام من تتوج أن لك أي في عام ١٤٣٠ انتدبها إلى إجلاء الانجليز من إحدى المقاطعات التي كانت لا تزال تحت أيديهم، واستطاع الأعداء أن يظفرا ها أسيرة وهنا لك رتبوا محاكمة صورية تعد وصمة عار في جبين الاستعمار وأمروا بحرقها وألقوا بجسامها في أتون مشتعل وذروا رماد جسدها في الهواء فوق نهر السين.

وبعد عشرين سنة نقض مطران باريس هذا الحكم وأثبت براءتها إذ أنها اتهمت في خلال محاكمتها بتهم كاذبة وأقيمت لها بعد ذلك عدة تماثيل تخليدا لذكراها.

خديجة ابنة خويلد

أول امرأة تزوجنا النبي صلى الله عليه وسلم، وأول إنسان أسلم لم وسلم قبلها أحد ذكراً كان أم أنثى، وكانت تسمى في الجاهلية الظاهرة وكنيت بأم هند.

وكانت ذات ثروة وافرة وكانت قريش تكثر التجارة في بلاد الشام، فلما بلغها عن النبي صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً مع غلامها ميسرة، فسار صلوات الله وسلامه عليه حتى بلغ بصري من الشام فنزل في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب فقال الراهب لميسرة من هذا الرجل فقال رجل من قريش يقال ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، ثم باع الرسول واشترى وعاد وقد ربح ضعف ما كان رح غيره فلما كانوا يمر الظهران تقدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر خديجة بالربح ثم قدم ميسرة وقد أحب النبي وأخيرها بما سمع من الراهب وكانت امرأة عاقلة نبيلة من أشرف نساء قريش نسباً وكان كل واحد من قومها يتمنى أن يتزوج بها فلم يقدر فلما رأت ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم أرسلت وعرضت نفسها عليه فأتى مع أعمامه إلى أبيها خويلد وخطبها إليه ثم تزوجها فولدت له أولاده كلهم إلا إبراهيم.

وكانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام ولا علمه جبريل الوضوء والصلاة علمها ذلك وبقيت

خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم ٢٤ سنة وأشهر ولم يتزوج عليها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام وقيل خمسة وخمسين يوماً وعمرها خمس وستون سنة.

رابعة العدوية

سميت رابعة بهذا الاسم؛ لأنّها الابنة الرابعة لاسماعيل العدوي، وهو رجلٌ فقيرٌ وعابدٌ في البصرة، وهناك وُلِدت رابعة العدوية الّتي لُقبت بأم الخير، وكان ذلك في البصرة عام ٩٥هـ في أحد الأكواخ الفقيرة و كان الناس يسمون هذا الكوخ "كوخ العابد" و ذلك لتقوى الوالد و إيمانه.

وقد توفي والدها وهي صغيرة و لحقته بعد فترة أمها فعاشت يتيمة مع أخوتها دون معيل، فلما حدثت مجاعةٌ في البصرة سعت رابعة مع إخوتها للخروج منها، وفي ذلك الوقت انتشر اللصوص وقطاع الطّرق الذين خطفوا رابعة، بعد أن عاشت التشرد والفقر والجوع، وباعوها لرجل من آل عتيق بستة دنانير، وكان غليظ القلب أذاقها ألوانًا من العذاب والقهر، فهربت من قسوته إلى عزلتها، وراحت تناجي الله سرًا وجهرًا، ليلًا ونهارًا، حتى انشغلت بالخالق عن الناس وشرورهم.

وفي إحدى الليالي رآها سيدها تصلي وفوقها وحولها هالة من نور، فاهتز لهذا الموقف وأعتقها، ويقال أن رابعة أقامت بالصحراء بعد تحررها من الأسر، ثم انتقلت إلى البصرة حيث جمعت حولها كثيرًا من المريدين والأصحاب الذين وفدوا عليها لحضور مجلسها، وذكرها لله والاستماع إلى أقوالها، وكان من بينهم مالك بن دينار، والزاهد رباح القيسى، والمحدث سفيان الثورى، والمتصوف شفيق البلخي».

ويروى أنه ذات يوم رأى جماعة من الفتيان رابعة العدوية وفي إحدي يديها نار وفي الأخرى ماء، وكانت تعدو بسرعة فسألوها إلى أين أنت ذاهبة؟ فقالت أنا ذاهبة للسماء حتى ألقي بالنار في الجنة وأصب الماء في الجحيم، فلا تبقى الواحدة ولا الأخرى ويظهر المقصود، فينظر العباد إلى الله دون رجاء، ولا خوف، ويعبدونه على هذا النحو؛ ذلك أنه لو لم يكن ثمة رجاء في الجنة وخوف من الجحيم، أفكانوا يعبدون الحق ويطيعونه ؟

واضطربت الآراء في شخصية رابعة العدوية، ولكن عُرف عنها الزّهد والتّقى وأنّها حفظت القرآن الكريم وتدبرت آياته، وحافظت على الصّلاة وهي في عمر الزهور، وبقيت رابعة العدويّة عذراء طيلة فترة حياتها، فهي لم تتزوج بالرغم من أنّ كثير من الرجال طلبوا يدها للزّواج، ولكنّها استبدلت حبّ الزّوج والأولاد، بالحبِّ الإلهي الذي اشتُهرت به، وقد اختلفت رابعة العدوية عن غيرها من الزّهاد في عصرها، وذلك لأنّها كانت صوفيّة بحقّ وقد دفعها الحبّ القويّ لله –سبحانه وتعالى– لعبادته، وقالت مقولتها المشهورة بأنّ الإنسان يجب أن يحبَّ من يحبه أولًا وهو الله،

ويقال أنهها لم يكن لديها غير حصير تستر به بيتها، وإناء من فخار تشرب منه، وبساط من اللِّبد تجعله فراشها ومصلاها، ومشجب من قصب طوله من الأرض قدر ذراعين علَّقت عليه أكفانها تتأملها باكية متضرعة، وكان كفنها لم يزل عندها، ويجدون محل سجودها كالماء المستنقع من كثرة البكاء، فكانت رضي الله عنها كثيرة البكاء، و كانت

إذا سمعت صوت النار غشي عليها.

ومن أقوالها "أن استغفارنا يحتاج إلى استغفار" واشتهرت رابعة بمناجاتها في تعبدها وقد بلغت في التصوف مبلغاً عظيماً قلما يصل إليه أعظم المجتهدين والصالحين.

وقد اختلفت الآراء في تاريخ وفاتها لكن الراجح ما ذكره ابن الجوزي أنّ وفاتها كانت سنة ١٣٥ للهجرة.

زبيدة بنت جعفر

هي امرأة هارون الرشيد وأم ولده محمد الأمين، جمعت شرف الخلافة من أطرافها فأبوها ابن خليفة وعمها المهدي خليفة وزوجها أشهر الخلفاء وابنها خليفة أيضاً ولذلك كثرت عنها القصص والأخبار في كتب العرب.

قال ابن الجوزي أنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن، ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها كدوى النحل من قراءة القرآن وقيل كان اسمها آمنة العزيز فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها وزوجها الرشيد عام ١٦٥ هجرية وكان يحبها جداً وكانت هي تبادل الحب وتبذل قصارى جهدها في مرضاته بيد أنها بعد موت الرشيد انتابتها الكآبة وخاصة لما وقع بين ابنها الأمين والمأمون من الفتن وبعد مقتل ولدها الأمين.

وفي أثناء خلافة المأمون أكرمها وجعل لها مكاناً في قصر الخلافة وأحاطها بالرعاية الكاملة و كانت تحذق فنون الأدب وخاصة الشعر وكانت في جمادى الأولى ببغداد سنة ٢١٦ هجرية.

السيدة زينب بنت الإمام علي

هي عقيلة بني هاشم، زينب بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم، ولدت بالمدينة المنورة في الخامس من شهر جمادي الأول سنة ٦ هجرية، وقد أسماها جدها زينب على اسم ابنته الكبرى زينب التي توفيت قبل ولادة الطفلة بوقت قليل.

لذلك كانت «حبيبة قلب النبي»، حيث أحبها حباً عظيماً، نشأت عقيلة بني هاشم في حضن النبوة، وكان النبي يستقبلها في بيوت زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، ويقربها إليه، ويحملها بين يديه الشريفتين، وعمل على تربيتها وتهذيبها، فتربت تربية نبوية، ولم يمنع سنها الصغير أن تستوعب تعاليم جدها الكريم.

توفي الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان عمر زينب رضي الله عنها خمسة أعوام، ثم تبعته أمها فاطمة الزهراء، وقد أوصت الزهراء ابنتها زينب أن تصحب أخويها وترعاهما، وتكون لهما من بعدها أما واستجابة لوصية أمها شغلت السيدة زينب رضي الله عنها مكان الأم، وتحملت هذه المسؤولية منذ أن كانت في العاشرة من عمرها، فقد أنضجتها الأحداث، وهيأتها لأن تشغل مكان أمها، فتكون أما للحسن والحسين.

ويجمع المؤرخون أن السيدة زينب نشأت نشأة حسنة كاملة فاضلة عالمة، على جانب عظيم من الحلم والعلم ومكارم الأخلاق، ذات

فصاحة وبلاغة، أخذت عن والدتها الرقة والحنان والخلق الحسن، وأخذت عن والدها العلم والتقوى، حتى تميزت بثقافتها وفصاحتها وبلاغة حديثها.

كانت السيدة زينب رضي الله عنها صوّامة قوّامة تقضي أكثر لياليها متهجدة تتلو القرآن، كما كانت رضي الله عنها لبيبة عاقلة، وفي البلاغة والزهد والشجاعة قرينة أبيها الإمام علي رضي الله عنها وأمها فاطمة الزهراء، وكان لسانها رطباً دائماً بذكر الله، تجمع بين جمال الطلعة وجمال الطوية، فيقول الجاحظ في «البيان والتبيين»: إنها كانت تشبه أمها لطفاً ورقة وتشبه أباها علماً وتقى.

لقبت السيدة زينب بالعديد من الألقاب، منها «أم العزائم» لعزيمتها القوية في طاعة الله تعالى وتقواه، و«أم هاشم»، لأنها كانت كريمة سخية كجدها هاشم، و«صاحبة الشورى» لرجوع أبيها وأخوتها لها في الرأي، و«أم العواجز»، لأن دارها كانت مأوى للعجزة والضعفاء، و«رئيسة الديوان» لأنها لما رحلت إلى مصر كان وليها وعلماؤها يعقدون جلساتهم في دارها وتحت رئاستها.

قال عنها الإمام الحسين رضي الله عنه: أنعم بك يا طاهرة حقاً إنك من شجرة النبوة المباركة ومن معدن الرسالة الكريمة.

تزوجت السيدة زينب رضي الله عنها من ابن عمها عبدالله بن جعفر رضي الله عنه، وقد ولدت له فتاتين وأربعة بنين، عليا ومحمداً وعوناً الأكبر وعباساً، ولم يفرق الزواج بين زينب وأبيها وأخوتها، فقد بلغ من

تعلق الإمام علي رضي الله عنه بابنته وابن أخيه أن أبقاهما معه حتى إذا ولي أمر المسلمين، وانتقل إلى الكوفة انتقلا معه فعاشا في دار الخلافة موضع رعاية أمير المؤمنين.

بعد استشهاد أخيها الحسين، رحلت السيدة زينب إلى مصر، وعاشت فيها حتى توفيت في الرابع عشر من شهر رجب سنة ٦٢ هجرية.

زليخا

هي راعيل بنت رماييل، اشتهرت في التاريخ باسم زليخا، كان والدها من أبناء ملوك الرعاة وكانت زليخا قد رأت في نومها أنها ستكون ملكة على مصر وأن القمر صار تاجاً لها ولبسته يوم توليتها على عرش المملكة فقيل لها أنها ستتزوج ملك مصر ومضت شهور، ولم يظهر لرؤيتها أثر حتى تزوجت بقطفير عزيز مصر ولا صارت كلمتها مسموعة بعد ذلك علت مكانتها وصار لها شأن كبير في تسيير أمور الحكم.

وكانت زليخا زوجة لعزيز مصر بوتيفار، في عهد الملك أمنحوتب الثالث، الذي يُعد من أعظم وأقوى الملوك الذين حكموا مصر، وبعد قيام إخوة يوسف برميه في البئر ليتخلصوا منه، وجده تاجر عربي اسمه مالك، وقام ببيعه بسوق النخاسة لعزيز مصر بوتيفار.وقصة زليخا مع سيدنا يوسف أوردتها الكتب المنزلة وفصلتها تفصيلاً وافياً. وعلى الرغم من أن القرآن الكريم لم يثبت أو ينف زواج نبي الله يوسف (عليه السلام) من «زليخا» فإنه أفرد سورة كاملة من سوره حملت اسم «يوسف» للحديث عن حياة نبي الله (عليه السلام)، ومحنته مع إخوته، ومع امرأة العزيز، ونسوة مصر، وإدخاله السجن، ثم الإفراج عنه، ليتولى أعلى المناصب في حكم مصر، ويتزوج «زليخا» بعد أن تقدم بها العمر، وكف بصرها، وخرجت تتكفف الناس.

وعندما تولى يوسف هذا المنصب استطاع أن ينقذ مصر من

المجاعة والقحط واستطاع أيضاً أن يحوِّل المصريين من عبادة الأوثان والإله أمون إلى عبادة الله الواحد، وأصبحت زُليخا أيضاً تعبد الله الواحد، فأصبحت تناجيه وتستعين به على شوقها ليوسف وعلى هرمها وسوء حالها وتستأنس بمناجاته في تمضية أيامها الحزينة، وظلت على هذه الحال مدة اثنتي عشرة سنة. وعندما علمت زوجة النبي يوسف «وتدعى أسينات» بأمر زُليخا تأثرت بها كثيراً وأدخلتها معها إلى قاعة الملك أخناتون الذي كان هو ويوسف يحاكمان أمام الحاشية الكهنة الذين خدعوا الناس بعبادة الإله أمون وتطاولوا على الله الواحد عز وجل. وأمام الحاشية قامت أسينات بمعاتبة زوجها يوسف واشتكته إلى الملك لنسيانه أمر زليخا المسكينة، فأتى وحي من الله عز وجل ليوسف بأن يتزوج من زُليخا، وهنا قام النبي يوسف بمواساة زليخا التي أخذت بالبكاء لفرحتها بلقائه وتمنت أن يرد الله لها بصرها حتى تستطيع رؤية حبيبها يوسف. وكانت المعجزة بأن الله استجاب لدعاء نبيه يوسف فرد إلى زُليخا بصرها أمام الملك وحاشيته وأمام الكهنة الذين لم يكونوا قد آمنوا بعد.

وهنا قام النبي يوسف بمواساة زليخا التي أخذت بالبكاء لفرحتها بلقائه وتمنت أن يرد الله لها بصرها حتى تستطيع رؤية حبيبها يوسف. وكانت المعجزة بأن الله استجاب لدعاء نبيه يوسف فرد إلى زُليخا بصرها أمام الملك وحاشيته وأمام الكهنة الذين لم يكونوا قد آمنوا بعد.

زينوبيا

وتعرف باسم زينب ملكة تدمر، وكانت آية زمانها في الجمال ونادرة عصرها في الفضل تولت عرش تدمر بعد زوجها أونيه الذي قتل عام ٢٦٧ ميلادية، فعمرت البلاد بالأندية الشاهقة والحدائق الغناء تم تحت إلى الحروب والغزوات فدانت لها كافة البلاد التي اقتحمها ولقيت نفسها بألقاب أهاجت عليها حسد مملكة الرومان فناءتها وزحف عليها أورليان قيصر الروم فعبأت جيوشها وقابلته على مقربة من إنطاكية، فهزمها هزيمة منكرة فاعتصمت بعاصمة ملكها تدمر فحاصرها ولم يلبث أن اقتحمها واعمل فيها يد التخريب حتى تركها قاعا صفصفاً وأخذها معه أسيرة ترسف في الأغلال بقيود ذهبية إلى عاصمة الرومان وذلك عام ٢٧٢ ميلادية.

وأما تدمر في مدينة قديمة ذات آثار عظيمة كانت تعرف باسم مدينة النحل تقع بين نهر الفرات ودجلة: ولم تنل تدمر عزاً مثل ما نالته في مدة زينوبيا ولم يرجع إليها رونقها الأصلي بتاتاً حتى صارت خرائب في هذا الزمان لا أثر فيها لذلك الجاه العظيم الذي طالما رفلت فيه.

سميراميس ملكت أشور

كانت أجل أقرانها وأشجع أهل زمانها، تولت العرش بعد زوجها فجعلت همها تحسين مدينة بابل فشادت الهياكل العظيمة والقصور الباذخة وبنت في ساحة المدينة هيكل بور آله الأشوريين وأقامت فيه تمثالاً ذهبياً طوله ٤٠ قدماً وكان هذا الهيكل أعظم بناء قام به البشر إذ بلغ ارتفاعه ٦٦ قدماً أي أعلى من الهرم الأكبر وقال عنه المؤرخ هيرودتس أنه مربع الشكل مساحته ٤٠٠ ذراع في وسطه برج يرتفع نحو ٦٠٠ قدم ويعلوه سبعة أبراج علو كل منها ٧٥ قدماً وفي البرج الأخير تمثال من ذهب وبقربه مائدة ومنصة ذهبيتان وفي فناء هذا المعبد من كان أحدهما ذهبي يوقد عليه في كل عيد ٣٠٠٠ أقة بخور.

وخلاصة القول أن هذه الملكة هي التي أحيت لبابل رونقها وعظمتها ولم تكتف سميراميس بذلك صممت في نفسها على استزادة رقعة ملكها فأثارت حروباً شتى وانتصرت في جميع غزواتها إلا في الهند إذ أن أفيالها أثارت الرعب في قلوب جنودها وخذلتهم.

ومنذ ذلك الحين زهدت في متاع الدنيا ومالت إلى الخمول إلى أن قتلها ابنها تيتاس عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد.

شجرة الدر

هي الملكة عصمت الدين أم خليل شجرة الدر محظية السلطان الصالح نجم الدين أبي الفتوح أيوب وأم ولده السلطان خليل.

شجرة الدر، واحدة من السيدات اللاتى حكمن مصر، وهى المرأة الوحيدة التى استطاعت تولى عرش مصر وحكمها من بعد الفتح الإسلامى وإلى الآن، ليوضع اسمها جنبًا إلى جنب مع حتشبسوت وكليوباترا.

ولا يزال الكثير من سيرة شجرة الدر مجهولاً، فى تواريخ الميلاد والوفاة والنسب والدفن وحتى طريقة الموت، المتفق عليه تاريخيًا كما ذكر فى العديد من الكتب أنها كانت جارية للملك الصالح نجم الدين أيوب وحظيت عنده بحيث كان لا يفارقها سفرًا ولا حضرًا، ولدت له ولد اسمه خليل مات صغيرًا، لكن لا يوجد فى الموسوعات التاريخية تاريخ ميلادها، كما لا يعرف أصلها، فبحسب ما ذكر كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمورخ تقى الدين المقريزى، إنها تركية الجنسية، وقيل أرمنية، ويعود بداية ذكرها مع عام **١٢٣٩**م، عندما ضمها الملك الصالح نجم الدين أيوب ضمن جواريه.

يذكر فى كتاب المقريزى السابق ذكره إنها توفيت فى يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر، وهو ما يختلف ذكره مع ما ورد فى موسوعة

"النجوم الزاهرة" للمؤرخ ابن تغر بردى، حيث قال إنها وجدت مقتولة فى يوم السبت حادى عشر من ربيع الآخر.

بعد وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب، تمت مبايعة شجرة الدر من جانب المماليك لتكون سلطانة للبلاد، وظلت ما يقرب من شهرين حتى أرسلت إلى ابن زوجها توران شاه، والذى ما لبث فى حكمه بضع أشهر حتى أرسلت فى قتله بعدما قام بتهديدها من أجل المال، وتزوجت من الأمير المعز الدين الله أيبك، وكان ذلك بداية لدولة المماليك، لكنه وبعدما انفرد بالسلطة وعلمت شجرة الدر بنيته بالزوج من بنت بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل، دبرت لقتله، وقد وقع.

ويذكر ابن تغر بردى فى "النجوم الزاهرة " إنها بعد مقتل أيبك ومحاولة مماليك الأخير قتلها أقامت فى البرج الأحمر فى قلعة الجبل، وكان يحميها الملوك الصالحية، وكانت زوجة أيبك وابنه المنصور يحرضان ضدها إلا إنها وجدت مقتولة مسلوبة خارج القلعة، فحملت إلى مكان دفنها بقرب من مشهد السيدة نفيسة، ودفنت هناك.

أما المقريزى فى "السلوك لمعرفة دول الملوك إنه لما تولى ابن المعز أمر السلطنة، حُملت شجرة الدر إلى أمه فضربها الجوارى بالقباقيب إلى أن ماتت وألقوها من سور القلعة وليس عليها سراويل وقميص، فباتت فى الخندق أياما، إلى أن حملت ودفنت فى مشهدها النفيسى. ولم يذكر أى مرجع تاريخى عمر شجرة الدر عند مقتلها.

وامتازت بعقلها الثاقب واتزانها: وكان الملك الصالح أيوب يرجع

إلى رأيها ويستشيرها ومن أشهر ما حدث في حياتها أنه لما مات الملك الصالح أيوب بناحية المنصورة في قتال الفرنسيين قامت بالأمر وكتمت موته واستدعت ابنه توران شاه وسلمت إليه مقاليد الأمور ولكنه لم يحسن تدبير الملك فاجتمع المماليك البحرية وحلفوا لها يمين الولاء واختاروها ملكة فنهضت بالجيش على أحسن وجه. ولكن أهل الشام لم يوافقوا على سلطتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب فسار إلى دمشق ونصب نفسه ملكاً. وتزوج الأمير عز الدين أيبك التركماني بشجرة الدر ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوماً.

عائشة بنت أبي بكر الصديق

هي أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر بن قُحافة، الصدِّيقة بنت الصدِّيق رضي الله عنهما، وكنيتها أم عبد الله، وأمها أم رومان بنت عامر الكِنَانية، ولدت في الإسلام، بعد البعثة النبوية.

وعندما هاجر والدها رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، بعث إليها فانطلقت مهاجرة مع أختها أسماء ووالدتها وأخيها، وقبل زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها رآها في المنام؛ فقد جاءه جبريل عليه السلام وهو يحمل صورتها إليه ويقول له: «هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة»

ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النساء بِكْرًا غيرها، وهو شرفٌ استأثرت به على سائر نسائه، وظلَّت تفاخر به طيلة حياتها.

وكان لعائشة رضي الله عنها منزلة خاصة في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن لسواها، وعندما سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال له: «عَائِشَةَ»، وقد شهد لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفضل، فقال: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»،

وعلى الرغم من صغر سنِّها، إلا أنها كانت ذكيَّةً سريعة التعلُّم، ولذلك استوعبت الكثير من علوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى

أصبحت من أكثر النساء روايةً للحديث، ومما يشهد لها بالعلم قولُ أبي موسى رضي الله عنه: "ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم حديثٌ قط فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه عِلْمًا" وقيل لمسروق: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: إي والذي نفسي بيده، لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسألونها عن الفرائض.

وإلى جانب علمها بالحديث والفقه، كان لها حظٌّ وافرٌ من الشِّعر، وعلوم الطبِّ، وأنساب العرب، واستقت تلك العلوم من زوجها ووالدها، ومن وفود العرب التي كانت تقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعندما ابتُليت رضي الله عنها بحادث الإفك، أنزل الله براءتها من السماء قرآنًا يتلى إلى يوم الدين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ۝ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١١-١٣].

وقد توفِّيت رضي الله عنها سنة سبع وخمسين، عن عمر يزيد على ثلاث وستين سنة، وصلَّى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ثم دُفِنَت بالبقيع، ولم تُدفن في حجرتها بجانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقد آثرت بمكانها عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فرضي الله عنهما وعن جميع أمهات المؤمنين.

عائشة التيمورية

الأديبة الفاضلة، والشاعرة الثائرة، تلقت تعليمها في القاهرة على أيدى أساتذة أفاضل بين أبويها وكانت أكثر ميلاً إلى علم النحو والعروض حتى بلغت في مضمار الشعر مقاماً كبيراً.

كانت ولادتها سنة ١٢٥٦هـ بالقاهرة ووالدها هو إسماعيل باشا تيمور ولم يحل شغفها بفنون الأدب دون إتقانها لكل ألوان التدبير المنزلي، وامتاز شعرها بالعمق والصفاء بيد أن وفاة ابنتها توحيدة وهي في سن الثامنة عشرة أثر في نفس الشاعرة تأثيراً بالغاً وصار شعرها من بعد ذلك مليئاً بالبكاء والرثاء ومن أشهر كتبها "نتائج الأحوال" وقد حفل بألوان شتى من بدائعها في الشعر والنثر.

ومن شعرها في رثاء ابنتها:

إن سال من غرب العيون بحور   فالدهر باغ والزمان غدور
ومضى الذي أهوى وجزعني الأسى   وغدت بقلبي جذوة وسعير
يا ليته لما نوى عهد النوي   وافى العيون من الظلام نذير

فكتوريا ملكت انجلترا

ولدت في ٢٤ مايو عام ١٨١٩ ووالدها دوق كنت ابن الملك جورج الثالث ملك انجلترا وأمها الأميرة فكتوريا ماري لويز أخت ليوبولد ملك بلجيكا توفى أبوها دوق كنت وعمرها ثمانية أشهر فقط فتولتها أمها بتربيتها وعنيت بأمرها.

وفي عام ١٨٣٠ ارتقى عمها الملك وليم الرابع العرش، ولم يكن له أبناء أحياء فعينت فكتوريا وريثة للعرش قبل أن تبلغ أشدها وظلت هي من جانبها مكبة على الدرس والتحصيل، وعندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها وهو سن الرشد احتفل بهذه المناسبة الشعب الإنجليزي احتفالاً عظيماً ومات في تلك السنة ذاتها عمها وكانت وفاته في ٢٠ يونيه عام ١٨٣٧ فجاءها رؤساء المملكة وكانت نائمة فأيقظوها من نومها، وأخبروها بوفاة عمها وبأن الملك صار إليها فأبدت من الحزم والثبات ما أدهشهم ونودي بها في اليوم التالي ملكة على بريطانيا وأرلندا في قصر سان جيمس وشرعت في الحال في القيام بأعباء الملك غير مهتمة حتى خيف عليها من اعتلال صحتها.

واقترنت في ١٠ فبراير عام ١٨٤٠ بالبرنس ألبرت دوق كوبرج وهو أمير ألماني نزل في قلبها منزلة الحب حتى أنه لما مات بعد ذلك بنحو عشرين سنة. حزنت عليه حزناً شديداً لازمها طوال حياتها.

وقد ظلت الملكة فيكتوريا متربعة على عرش بلادها ردحاً طويلاً من الزمن، فاقترنت حياتها كملكة بنواحي الإصلاح المتعددة التي شملت بلادها واتساع رقعة مملكتها، وقد ساعد على ذلك ظهور شخصيات عظيمة من أكبر عظماء انجلترا في عهدها .. كما قال زوجها البرنس، محبة الجماهير لبعده عن التيارات الحزبية والسياسية واهتمامه بالمسائل المدنية التي تعود على أبناء الشعب بالنفع.

كاترين الأولى

ولدت عام ١٦٨٢ وتزوجها الإمبراطور بطرس الأكبر بعد أن راعه جمالها وذلك بعد طلاقه لزوجته وكان يسافر معها في كل جهة يذهب إليها لفرط حبه لها وامثل شغفه بها حتى كانت تصحبه علناً في ميادين القتال وكانت تعرض نفسها للأخطار إبان الحرب وتتلطف بالجنود وتزور المرضى منهم ولا اشتد القتال بين جيوش زوجها والجيوش العثمانية وكادت الدائرة تدور على جيوش روسيا، دخلت خيمة قرينها وهو في حالة شديدة من الجزع والهلع وتعهدت له بأن تسترضى بلطجي باشا القائد التركي بالهدايا حتى يكف عن هجومه الذي كاد يظفر به بانتصار عظيم فعهد إليها زوجها بهذه المهمة، واستطاعت أن تستميل بلطجي باشا.

وفرح زوجها بما وصلت إليه زوجته من الحياة والمهارة وأمر بإنشاء رتبة أسماها رتبة القديسة كاترين تمجيداً لها، ثم ساء ظن الإمبراطور بها في أواخر عام ١٧٢٤ وهي السنة التي توجها فيها وأمر بقتل الرجل الذي اتهمها به ولم تطل حياته بعد ذلك إذ توفي في بدء عام ١٧٢٥ فأخفت نبأ موته هي ورجال بلاطها إلى أن يستتب لهذا الأمر من بعده وتتهمها بعض المصادر التاريخية بأنها دست له السم.

ولا دان لها الملاك مضت تقوم بعض الإصلاحات إلا أنها مالت في أواخر أيامها إلى الشراب مما أسرع بموتها فتوفيت في ١٧ مايو عام ١٧٢٧.

كاترين الثانية

جلست على عرش روسيا عام ١٧٦٢ وتوفيت عام ١٧٩٦ فكانت مدة حكمها أربعاً وثلاثين سنة وفي أيامها اكتسبت بلادها نفوذاً كبيراً في السياسية الأوربية واتجهت خواطرها إلى الأخذ بنواحي الإصلاح والتقدم في بلاد بدلاً من الانصراف إلى الحروب. فاهتمت بشئون التعليم وأولت النساء عنايتها للأخذ بيدهن في هذا المضمار فكانت بذلك أول من اتجه هذا الاتجاه من الولاة في بلادها واهتمت بهذا الأمر اهتماماً بالغاً. وكانت مع ما تتمتع به من نمو التفكير لا تألو جهداً في اشتغالها بفن التطريز والتصوير والنقش وكانت تقرب العلماء إليها وقد أهدت إلى فواتير علبة من العاج من صنع يدها فسر فولتير لهذه الهدية وبعد قليل كافأها بأن قدم لها زوجاً من الجوارب الحريرية من صنع يده وأرسل لها رسالة يقول فيها:

"إن جلالتك تكرمت بإهداء ما هو من أعمال الرجال ولكنه مصنوع بأيدي النساء، فأهديتك ما هو من أعمال النساء ولكنه مصنوع بأيدي الرجال، وإني أرجو قبول هديتي".

فسرت كاترين بهديته ورسالته سروراً عظيماً.

كليوباترا

هي من ملوك البطالسة، اقترنت بأخيها بطليموس سنة **٥٢** قبل الميلاد، وكان في سن الثالثة عشرة وهي في سن السابعة عشرة، ولم تلبث أن راودتها نفسها على أن تستأثر بالعرش دونه، فقاومها رجال البلاط وأوصياء زوجها القاصر حتى إذا أعيتها الحيلة عمدت إلى طلب المعونة من باغسطوس قيصر الرومان فألف ما بينهما، ولكنها ما لبثت أن تزوجت بأخيها الثاني ولم يكن قد جاوز الحادية عشرة سنة، فنودي به بأمر قيصر ملكاً على مصر، ثم مات زوجها الثاني مسموماً بعد زواجه بأربع سنوات، ولا خلا العرش يعبث أنطونيوس أحد رؤساء الدولة الرومانية الأربعة استدعى كليوباترا إلى رسوم إذ كان متوجهاً إليها لمحاربة بروتس، فلبت دعوته وسارت إليه حتى بلغت نهر ترسوس، وهنالك اتخذت لها سفينة فاخرة الأثاث ازدانت بأبدع النفائس وتحلت هي بأجمل الجواهر وأفرغت على قدها الفنان أبدع الثياب وكللت جبينها بتاج وهاج وألبست وصيفاتها أفخر الملابس وتصدرت بينهن كأنها الشمس ومن يدرن حولها ويضربن بالعيدان ويطلقن البخور والند حتى عبقت كافة الأرجاء حولها بمطر شذاها، فلما لقيها أنطونيوس استطار بها هياماً وحباً وضاع رشده، وما عتم أن عاد بها إلى الإسكندرية وهنالك تزوجها ولم يستطع أن يفارقها، وانصرف عن أعماله وواجباته وأصبح لا يستفيق من سكرته وإياها، فلما طار نبأ ذلك إلى زوجته أوكتافيا أهاجها

الغضب والغيرة فأوغرت صدر أخيها أوكتافيوس أحد أركان الدولة الأربعة عليه للانتقام منه، فحشد أوكتافيوس جيشاً لجباً وقصد به إلى مصر فتغلب عليها بعد قتال مرير، ولما رأى أنطونيوس ذلك تناول خنجراً وطعن نفسه خشية عار الأسمر وفضيحة الهزيمة.

أما كليوباترا أنها لم تستطيع أن تجتذب أوكتافيوس إليها ولم تقو على التأثير عليه بسحرها ودلالها وأطلقت حية خبيثة على صدرها المزين بأتنفس الجواهر، فلدغتها الحية لدغة قاتلة وكان ذلك عام ٣٠ قبل الميلاد، وكانت مدة ملك كليوباترا ٢٢ سنة، وكانت حكيمة، تقرب العلماء ورجال الفلسفة.

وكانت تحب القصف وتألف الملاهي، وطالما تمنت أن يكون لها حبيب تركن إليه وتعول عليه في أمورها.

ليلى الأخيلية

من النساء المتقدمات في الشعر، ومن شاعرات الإسلام النابهات، وكان ثوبة من الحمير يهواها ولكنه لم يستطع أن يظفر بالزواج منها وله فيها شعر كثير ومن أشهر ما قاله فيها قصيدته التي مطلعها:

فأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

وكانت ليلى تحبه ولكنها تكتمت هواها عملاً بتقاليد قومها. ولما مات ثوبة في إحدى ساحات القتال رثته بمرات كثيرة أذابت فيها نفسها الملتاعة حزناً وأسى، ومن أبلغ مراثيها فيه قولها:

أقسمت لا أرثي بعد ثوبة هالـكاً أحفل لمن دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المعاير

ولليلى الأخيلية جولات رائعة في الشعر في كل فن من فنونه، وكانت تفد على مجالس الحجاج وعبد الملك بن مروان ومعاوية فتجزل على شعرها بأوفى الجزاء.

وماتت ليلى ودفنت بالقرب من قبر حبيبها ثوبة، وقيل إن سبب وفاتها أنها كانت مارة بقبره وكانت إلى جانب القبر بومة كامنة فلما رأت الهودج الذي به ليلى فزعت وطارت في وجه الجمل فنفر فرمي ليلى على أم رأسها فماتت لوقتها ودفنت إلى جانبه.

مادلين سميث

تعد قصة حياة مادلين سميث من أروع القصص المؤثرة في تاريخ المحاكمات في أمريكا، فقد عاشت أكثر من تسعين سنة، ولم تمت إلا في عام ١٩٢٨ وكانت في صباها، فتاة جميلة ممراحة وهي انجليزية المولد من مدينة جلاسجو، وكانت في نشأتها تعيش في بيتها آمنة في ظل أبويها ولم يكن أحد يتصور أن تلك الفتاة الوديعة التي تعيش عيشة هادئة، ستنقلب أوضاع حياتها كلها وتتهم بالقتل وتصير قضيتها أشهر قضية شغلت الرأي العام الأمريكي ردحاً كبيراً من الزمن.

أما ضحيتها – كما أسند إليها ذلك – فهو شاب يلي بيير أميل، وقد عرف عنه انه كان وسيماً جذاباً، وكان في مركز بسيط لا يخوله أن يخطب إحدى الفتيات النابهات، ولكنه كان يتوق إلى رفع مستواه عن طريق العثور على زواج محدود، وهكذا أوقع في حبائله كثيرات من الفتيات، واتصل بيير بمادلين، و عض إلا قليل حتى مات بيير، فهل كان موته نتيجة انتقام من مادلين التي اعتدى عليها ولم يقيل على ذلك الزواج منها؟

انتشرت تلك الإشاعة في سائر أرجاء انجلترا وأمريكا وقبض عليها بتهمة قتل بيير مادة الزرنيخ وشهدت المحاكمة في أدنبرة حيث كانت هنالك وقتئذ، ودامت المحاكمة تسعة أيام كانت الصحف في خلالها تأتي على تفصيلات المحاكمة بدقة وتطويل وإسهاب وكان مئات الألوف

من الناس يتلهفون كل يوم على تتبع أنباء تلك القضية المثيرة وخاصة بعد أن ثبت من التحقيق أن مادلين كانت تشتري الزرنيخ من إحدى الصيدليات ولكنها دفعت عن نفسها التهمة بأنها كانت تستعمل هذا السم لأغراض خاصة ما، وأخيراً اختلت المحكمة للمداولة ثم عادت وأصدرت حكمها – بعد أن أداتها المحلفون مرتين – وكان الحكم يقضي ببراءتها مما نسب إليها.

وخرجت مادلين من ساحة القضاء بريئة، وعاشت بعدها سنوات طويلة والناس بالرغم من هذا الحكم يحارون في تكييف وفاة ذلك الشاب القوي الذي ثبت أنه مات بالزرنيخ، فهل كانت هي قاتلته؟ لقد أثبت القضاء عكس ذلك، إن كان سرها الحق قد بقى في صدرها حتى ماتت.

ماري أنطوانيت

ولدت عام ١٧٠٠ وتزوجت في السادسة عشرة من عمرها بولي عهد فرنسا لويس السادس عشر و، كانت إذ ذاك غاية في البساطة وصفاء النية وفي عام ١٧٧٤ ارتقى زوجها العرش وكان في ذلك بدء متاعبها فقد كرهها الشعب الفرنسي، واتهمها بأنها تحيك الدسائس ضد فرنسا، ولكن أعظم هفواتها أنها كانت نزاعة إلى البذخ وإقامة الولائم والحفلات في الوقت الذي كان الشعب فيه يعاني الأمرين من الجوع والفقر.

وهكذا كان الفرنسيون يضمرون لها البغض، ويتهونها بسرقة أموال الدولة وقذفها في ساحات اللهو، وعمدت قبل الثورة إلى مصانع الجماهير، فكانت تزور بعض المصانع وتعطف على العمال، ولكن الخرق كان قد اتسع، ولما رأت ما يضمره الناس لها من الحقد صممت على الهرب من البلاد هي وزوجها فمانعها زوجها معتقداً أن هربه في تلك الأحوال ضرب من الخيانة لبلاده وكان شريفاً أبياً محباً لأمته وأن كان ضعيف الهمة، وصادف في أحد الأيام أن البعض عليه وأوقفوا مركبته فساءه ذلك وحسبه تعدياً شخصياً فهرب مع عائلته في ٢٠ يونيه عام ١٧٩١ ولسوء طالعه قبض عليه في فازان وأعيد أسيراً إلى باريس وازداد هياج الجماهير ضد الملكة واتهموها بأنها تبيع فرنسا للنمسا، وبعد محاكمة طويلة صدر الحكم بإعدامها في ٩٦ أكتوبر عام ١٧٩٣ ونفذ فيها الحكم في اليوم التالي، وذلك بعد مقتل زوجها بثمانية شهور.

ماري ستيوارت

ولدت عام ١٥٤٣ وفي عام ١٥٥٨ تزوجت بفرنسوا الثاني الذي تولى عرش فرنسا ثم مات بعد سنة ونصف من زواجها، فعادت إلى وطنها كسيرة القلب بعد أن ودعت فرنسا بأبيات رقيقة من الشعر، وكان من أثر تفضيلها للمذهب الكاثوليكي أن بغضها قومها، فأرادت أن تنزلف إليهم بالزواج من ابن عمها هنري، ولم يكن فيه أية ميزة تليق بأن تجعله أهلاً لها وهي المرهفة الحس واسعة العقل والتفكير والتعليم، ومع هذا فقد زفت إليه عام ١٥٦٥ وكان رجلاً خبيثاً غيوراً نهما يحب أحد رجال سكرتيريته وكان شاباً جميلاً فاتناً وموسيقياً بارعاً، فهجم هنري على الشاب ذات ليلة من باب خلفي في قصرها وهو يعزف أمامها فقتله غيلة وفي سنة ١٥٦٧ مات هنري على نحو يبعث إلي الشك في أمر موته، فاتهمت به وبعد ثلاثة أشهر من وفاته تزوجت – دون أن تحسب حساباً لعملها هذا – بالكونت بوتويل الذي قيل عنه إنه هو الذي ساعدها على مقتل زوجها فهاج الناس لذلك واتهموها بالخيانة والزنا وزجوها سجينة في إحدى القلاع وطلبوا إليها أن تغير مذهبها فأبت وظلت سجينة حتى وضعت ولدها جيمس الذي وحد بين مملكتي سكوتلندا وانجلترا بعد ذلك، ثم حاولت الفرار فتدلت من إحدى الشرفات ونجب بأعجوبة وكتبت حين يئست من الملك ستجيرة بابنة عمها الملكة إليزابيث وذلك في سنة ١٥٦٨ فاستقدمها بعد أن أمنتها على نفسها، فلما رأتها

أضمرت الشر لفرط جمالها وحسدتها في ذات نفسها وما لبثت أن أودعتها أحد السجون متهمة إياها بأنها اغتالت زوجها وظلت في سجنها ١٨ سنة وحاولت في خلال تلك السنوات كل ما وسعت في جهد أن تنقذ نفسها من سجنها فلم تفلح وتاريخ حياتها في السجن مليء بأشقى المعاني ولم تكتف إليزابيث بسجنها بل حكمت عليها بالموت متهمة إياها بالإلحاد أو الخروج على بعض النظم الدينية ولم تفعل ذلك إلا تخلصاً منها.

ونفذ فيها حكم الإعدام ولها من العمر أربع وأربعون سنة، وخلال فترة سجنها كتبت رسائل متواترة إلى الملكة إليزابيث، كشفت فيها النقاب عن نبات تلك الملكة التي وإن كان عندها قد اشتهر بالازدهار والنماء كما اشتهرت في التقدم إلا أنها دنست حياتها بما قدمت نحو ماري ستيوارث التي تعد ضحيتها.

مدام بلانشار

يقترن اسم مدام بلانشار بصناعة الطائرات أو اختراعها، وكان أول ما قامت به في هذا السبيل عام ١٨١٩ حينما صممت على أن تقيم وهي طائرة في مركبة أعمالاً نارية كالصواريخ التي تقام في الأفراح والأعياد، فأفلحت في ذلك مما أثار دهشة الجماهير وإعجابهم ولكن لم تلبث أن امتدت النيران إلى حيال تلك المركبة الهوائية فالتهمتها وسقطت مدام بلانشار جثة هامدة وخلد ذكراها بين الذين قاموا وقدموا أنفسهم وعقولهم في سبيل ذلك الاختراع العظيم.

نزهون الغرناطية

فاقت نساء عصرها في الآداب، و كانت ذات جمال باهر، وكان يفد إلى مجلسها كبار الشعراء والعلماء وكانت لطيفة السامية، حافظة الأشعار العرب ولم يكن بغرناطة إذ ذاك أحد يجاريها وكان الوزير أبو بكر سون أولع الناس محاضرتها ومذاكرتها وسياساتها فكتب لها مرة:

يـــا مـــــن لـــــه ألـــــف خـــــل　　　مـــــــن عاشـــــــق و صـــــــديقي
أراك خليــــــــــــت للنــــــــــــا　　　س منــــــــزلاً فــــــــي الطــــــــرق

فأجابه:

حـــالات أبـــا بكـــر محـــلا منعتـــه　　　سواك وهـل غيـر الحبيـب لـه صـدري
وإن كـان لـي كـم مـن حبيـب قائمـاً　　　يقـدم أهـل الحـق حـب أبـي بكـر

السيدة نفيسة بنت الحسن

قال المقريزي: إن أمها تزوجت بالحسن بن زيد، فولدت له نفيسة وكانت من الصلاح والزهد على الحد الذي يمكن أن يوصف إذ يقال إنها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء قديم قيام الليل وصيام النهار وقيل لها: ألا تترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟ وكانت تحفظ القرآن وتجيد تفسيره وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة، وذكر أن الإمام الشافعي رضي الله عنه زارها من ورا الحجاب وطلب منها أن تداوله وكان في صحبته عبد الله بن الحكم وماتت رضي الله عنها بعد موت الإمام الشافعي بأربع سنوات وقيل أنها كانت فيمن صلى على الإمام الشافعي رضي الله عنه وتوفيت في شهر رمضان عام ٢٠٨ هجرية.

ولما توفيت عزم زوجها على حملها إلى المدينة، فسأله المصريون بقاءها عندهم فأبقاها ودفنت في الموضع المعروف بها الآن.

نيتوكريس

إحدى ملكات الفراعنة وهي من ملوك الأسرة السادسة، كانت أكثر نساء عصرها لطفاً وجمالاً وأشهر فتيات مصر فضلاً وكمالا ودهاء وعقلاً وأوفى الناس حزماً وذكاء، وقيل أن الجمهور أشرب بحبها وفتن ها فأدخلوها بعد وفاتها في مصاف المعبودات.

ومما يروى عن دهائها أن فريقاً من رجال الدولة وثبوا على أخيها وقتلوه إن كان ملكاً قبلها وكان ذلك بغياً وظلماً منهم، ولما خلفته على العرش دعت أولئك القتلة إلى مأدبة أعدتها لهم في قصر عظيم جميل قائم على تل بجوار نهر النيل ولا مدت الأطعمة وابتدأوا يتناولونه بين عزف الآلات وأصوات الغناء الرقيقة، وأمرت بفتح خزان على النيل أخفته عنهم أنساب الماء عليهم حتى أغرقهم عن آخرهم وكانوا نحو خمسين رجلاً.

هيلانة بنت ملك أسبارتا

قال عنها هوميروس شاعر الإغريق الأكبر أنها ابنة بعض ملوك أسبارتا، وكانت أشهر نساء عصرها حسناً وأكثر من رقة وظرفاً فزوجها أبوها بمنيلاس ملاك لاكونيا ومسينيا، فأتى أسبارتا عقب ذلك باريس بن بريام ملك تروادة وكان ذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد فأكرم منيلاس وفادته وأنزله في بلاطه فما كان من باريس إلا أن استهوى هيلانة وفر هارباً بعد أن سلب قسماً من مال زوجها فكان ذلك سبباً في نشوب حرب تروادة الشهيرة في التاريخ التي دامت كما ذكرت كتب التاريخ عشر سنوات، وانتهت بخراب تروادة وقتل بارس الغادر.

ولادة بنت المستكفي

اشتهرت بالجرأة والعفاف، أديبة شاعرة، جزلة القول حسنة الشعر، وكانت تناضل الشعراء وتجادل الأدباء وتفوقت على البلغاء وعمرت طويلاً ولم تتزوج قط.

كان مجلس ولادة بقرطبة منتدى الأدباء النابهين، يتهافت الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ومن أخبارها مع أبي الوليد بن زيدون، أن ابن زيدون كان يعشق بولادة ويهيم بها ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم.

وله فيها أشعار كثيرة ومن أرقها قصيدته التي بعث بها إليها يصف فيها فرط قلقه وضيق أفقه إليها ويعلمها أنه ماسلاً عنها بخمر ولا خبأ في ضلوعه حبها ويعاتبها على إغفال تعهده ويصف حسن محضره ها وفيها يقول:

إنــي ذكرتــك بــالزهراء مشــتاقاً   والأفــق طلــق ووجــه الارض قــدراقاً

وللنســيم اعــتلال فــي أصــائله   كأنمــا رق لــي فاعتــل إشــفاقاً

وكانت ولادة معجبة بنفسها، تتفاخر على بنات جنسها حتى أنها كتبت بالذهب على الطراز الأيمن من عصبتها:

أنـــا والله أصـــلح المعـــالي   وأمشـــي مشـــيتي وأتيـــه تيهـــا

وكتبت على الطراز الأيسر:

وأمكن عاشقي من صحن خدي		وأعطي قبلتي من يشتهيها

وقصة غرامها مع ابن زيدون غاية في الإمتاع والرقة وقد اكتسب الأدب العربي بغرامها ذخيرة من الغزل الرقيق الرفيع الذي كانا يتبادلانه في شهر كل منهما إلى الآخر في مناسبات شتى. وكان ابن عبدوس الوزر يهواها ولكنها كانت تعرض عنه بل تتهكم عليه.

ومن شعر ابن زيدون فيها:

بنتم وبنا فما أمت جوانحنا		شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا		يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

آنابولين

إنها إحدى زوجات هنري الثامن، قطع رأسها عام ١٥٣٦، وأما تاريخ مولدها مجهول فبعض المؤرخين يقول أنها ولدت عام ١٥٠٠ وغيرهم في عام ١٥٠٧ وهي ابنة الآرل توماس بولين وكانت من بين النساء اللواتي رافقن ماري شقيقة هنري الثامن إلى فرنسا عندما تزوجها لوس الحادي عشر عام ١٥١٤ ولما عادت ماري بعد موت زوجها إلى انجلترا بقيت آنا في فرنسا ردحاً من الزمن ثم عادت إلى انجلترا ..

وأما ما قيل من أن سلوكها في البلاط الفرنسي كان محلاً للشبهة فلم تزل دون دليل كاف في كتب التاريخ. ولم يمض غير قليل حتى أحبها هنري الثامن الذي ألزم الكاردينال وسلى لكي يعمل على فسخ خطبتها من اللورد برسي بن الايرل في تمدلند وكان قد ازداد بها حباً وهياماً في الوقت الذي فترحبه لزوجته كاترين الأرجونية ولم يلبث أن طاقها وتزوج آنا بالرغم من معارضة الكاردينال .. وكانت آنا نعتقد أن الكاردينال ضدها فعملت على إثارة الملك ضده حتى عزله .. ولا استطاع هنري الثامن أن يظفر بالتزوج من آنا بعد غياب استمر خمس سنوات نشأ عن طلاق كاترين، كان قد مضى علها زهاء ثلاث سنوات في قصر الملك قبل تزوجه بها.. ولكنها كانت دائماً برفقته حتى رقاها قبل زوجه بها ببضعة أشهر إلى رتبة مركيزة، وعندما أحيلت مسألة طلاق كاترين على المجلس المقدس بكانتربزي حكم المجلس بإفساد زواج

الملك بكاترين من أوله وأن آنا بولين هي زوجته الشرعية و أقيم لآنا بعدئذ احتفال عظيم بتتويجها وبعد ذلك بثلاثة شهور ولدت الأميرة إليزابيث التي صارت بعد ذلك ألمع ملكات انجلترا شأناً.

وبدأ هنري الثامن وقد اشتهر في التاريخ بتعدد زوجاته يقلب لها ظهر الجن عندما أخذ قلبه يميل إلى جين سيمور فاتهمها بتهم تمس شرفها واجتمعت لجنة من اللوردات للتحقيق في التهم الموجهة إليها فأدانها بأنها زلت مع بعض رجال البلاط وأرسل الملك المتهمين إلى غياهب السجون وحوكمت آنا أمام لجنة من الأمراء تحت رياسة عمها دون نورفلك، فحكم بأنها مدنية مع أنها أقامت الحجج على براءتها. وحكم بفساد زواجها من هنري كما حكم لهنري من قبل بفساد زواجه من كاترين. وبلغ عدد الذين قتلوا من المتهمين معها أربعين رجلاً عدا صديقها المزعوم سميتون الذي صلب وقتل أشنع قتلة.

آنا موراندي

كانت من أبرع النساء في فن التصوير والحفر، لأنها أخذته عن قرينها منزرليني وكان ماهراً في التشريح والرسم والتصوير وفي نقش الشمع ولكنه كان ضعيفاً عصبي المزاج بينما كانت زوجته آنا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة فتعلمت منه صناعة التماثيل الشمعية وأتقنت تلك الصناعة إتقاناً كبيراً.

ولم تلبث بعد أن نبغت في هذا المضمار أن نبغت في فن التشريح، وفي غضون ذلك أنشأ أحد الأطباء مدرسة لتعليم فن الولادة وطلب إليها أن تصنع له أجنة من الشمع متفاوتة في النمو فصنعت له الأجنة المطلوبة على نحو متقن للغاية ثم ذاع صيتها حتى عم أوروبا لغزارة معارفها.

وفي عام ١٧٥٥ توفى زوجها عن ولدين صغيرين، فحزنت عليه حزناً شديداً إذ أنها كانت تحبه حباً مفرطاً مع كثرة أخطائه ولكنها لم تنفك عن خدمة العلم والانقطاع له وبعد وفاة زوجها بعام انتخبت عضواً في المجمع اللغوي ببولونيا ثم في مجامع أخرى كثيرة وأسندت إليها الحكومة البولونية منصب الأستاذ ته للتشريح بمدرسة الطب.

ومن الغريب أنها في الوقت الذي كانت تشغل فيه مناصب علمية خطيرة لم يزد راتبها عن ٣٠٠ فرنك في السنة، مما جعلها تشكو الفقر

والعوز ولا بثت ظلامتها للحكومة البولونية لم تأبه لها وأخيراً اضطرت إلى أن تقبل أن تكون ضيفة عند أحد الأغنياء لقاء أن يأخذ ذلك النبيل كافة كتبها فقبلت لتعيش إذ أنها كانت تمتاز بالعفة والطهر ولكن الرجل رثا لحالها فأبقى لها كل شيء.

وفي ذلك الحين طار صيتها في سائر أنحاء أوروربا فأرسلت إمبراطورة روسيا وسائر الحكام في الدول الأوربية يدعونها فرفضت وفضلت أن تظل في وطنها مع ما قالها فيه من حرمان حتى ماتت ولها من العمر ٦٨ سنة، وذلك في عام ١٧٧٤.

إيرينى إمبراطورة بيزنطة

ولدت عام ٧٥٣ في أثينا، واشتهرت برجاحة العقل والحسن الفائق وكانت زوجة بلاون الرابع، فلما مات زوجها تولت الملك كوصية على ابنها ولكنها لم تلبث أن تفاقم شرها بما استنته من البدع فلما بلغ ولدها سن الرشد نقاها ولكنها استطاعت أن تعود بعد ١٥ سنة وعملت على النكاية بولدها واقتلعت عينيه، ولكي ينسى الشعب فظاعة عملها أخذت تقوم بإصلاحات كثيرة ولكن الدائرة لم تلبث أن دارت عليها إذا تمكن الملك شارلمان من إقصائها عن عرشها وعاشت بعد ذلك شقية فقيرة حتى ماتت عام ٨٠٣ ميلادية.

الخيزران

الخيزران ابنة عطاء أم الهادي والرشيد، وكانت ذات جمال وبهاء، اشتراها عهد أبو عبد المهدي بمائة ألف درهم واستحظى بها وقدمها على جميع نسائه لما امتازت به من الرقة، وولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد وقد تقدمت في خلافة ولدها موسى الهادي حتى أنها شاركته في الأحكام لفرط تدخلها معه في أمور الحكم وكان كثير الطاعة لها مجيباً كل ما تطلبه من الحاجات فكانت المواكب لا تخلو من بابها وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

يا خيزران هناك ثم هناك　　　إن العباد يسوســـــهم ابناك

وحدث أن كلمت الخيزران ولدها الهادي ذات يوم في أمر ما فلم يجبها متعللاً بعلة، فقالت له لا بد من إجابتي قال لا أفعل فقالت له وفي قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب ولدها الهادي وقال: ويل لابن الفاعلة لقد علمت أنه صاحبها ولن أقضي حاجته فقالت: إذن والله لا أسألك حاجة بعد اليوم فأجابها: إذن والله لا أبالي..

وقامت غاضبة فقال لها: مكانك فاسمعي ما أقول فقد ضقت درعاً... فلئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو من خاصتي أو من خدمي لأضربن عنقه ولأقضبن ماله .. فمن شاء فليلزم ذلك .. ما هذه المواكب التي تغدو ببابك كل يوم .. أما لك مغزل يشغلك أو مصحف

يذكرك أو بيت يصونك .. إياك ثم إياك وأن تفتحي فاك في حاجة لمسلم أو ذمي .. فانصرفت وهي مذهولة. ولم تتداخل في أمر من أمور الحكم بعد ذلك.

ثم أن الهادي التفت لأصحابه وقال لهم: أيحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال أم فلان فعلت وصنعت؟ قالوا:لا نحب فقال: فما بالكم تأتون منزل أمي فتتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عن زيارتها.

وكان سبب وفاة الهادي قبل أمه الخيزران أنها أمرت بعض الجواري بقتله إذ خافت بأن يخلع الرشيد ويقيم البيعة لابنه جعفر، وتكاثرت الجواري على الهادي وجلست وجلسن على وجهه فمات اختناقاً وأرسلت الخيزران تعلن موته وبعد ذلك بقيت معززة مكرمة عند الرشيد والمأمون حتى أدركتها الوفاة في خلافة المأمون.

دليلة الفلسطينية

أحبها شمشون، وعرف رجال فلسطين بحبه لها فقالوا لها خبرينا عن سر قوته الخارقة حتى نستطيع التغلب عليه ونقهره، ونحن ندفع لك لقاء ذلك قدراً عظيماً من المال .. فتوجهت دليلة إلى شمشون تسأله عن سر قوته ولكنه لم يخبرها بسره وغرر بها، ولكنها لم تيأس ومضت ترجوه، فلما ضجر منها قال لها: إن رأسي لم يمسسه حلاق لأني ناسك لله منذ كنت في بطن أمي فان حلقت رأسي فارقتني قوتي. ورأت دليلة. أنه قد كاشفها بكل ما في قلبه فأرسلت ودعت أقطاب فلسطين وكان زوجها مضطجعاً على ركبتيها، ودعت رجلاً خلق سبع خصل من رأسه، ثم أيقظته فجأة فاستيقظ ووجد أن قوته قد فارقته، ففيض عليه أعداؤه الذين كانوا يخشون بطشه وفتنته وقوته الجبارة من قبل ولقيت بعد ذلك دليلة بالمحتالة لاحتيالها على زوجها شمشون.

زرقاء اليمامة

هي أخت رباح بن مرة، وكانت حادة البصر ليس على وجه البسيطة من هو أحد بصراً منها، وكانت تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال فلما أغار على قومها الملك حسان أحد ملوك اليمن وكان أخوها مع الملك حسان حذره من أخته قائلاً له أنها تنظر الراكب من بعد كذا ميل، فأمر الملك جنوده بأن يقتلعوا الشجر وكان كل جندي يحمل أمامه شجرة ففعلوا وساروا، ولما أشرفت من منظرها قالت لقومها أنها ترى أشجاراً تسير ووراءها رجال فهزأ الناس منها .. ولم يلبث أن جاء الملك حسان على قومها وهزمهم، ثم أرسل واستدعى زرقاء اليمامة ودعا إحدى النساء وأمرها باقتلاع عيون زرقاء اليمامة، فإذا داخلها عروق سوداء فسألها عن ذلك فقالت له أنه من أثر حجر أسود يقال له الأثمد كنت أكتحل به وكانت هي أول امرأة اكتحلت بالمكحل واتخذته النساء من بعدها تشبهاً بها.

إيزابيلا

تلقب بإيزابيلا الأولى ملكة قسطيلة أو قشطالة ولدت سنة ١٤٥١ وتوفيت عام ١٥٠٤ وهي ابنة يوحنا الثاني ملك قشطاله وتاريخها مليء بالأحداث تولت الملك بعد حوادث رهيبة طويلة، ومضت منذ تبوأت العرش تعمل على رفعة قومها ومجد أسبانيا فنقحت القوانين القديمة البالية وأعانت الأدباء والمخترعين وكانت تلبس درعاً في خلال حروبها ضد العرب في الأندلس وتحارب بنفسها وزادت شهرتها لمساعدتها كرستوف كولمبس الذي اكتشف أمريكا إذ أن الأسطول الذي اكتشف به أمريكا جهز على نفقتها، وكانت لا تميل إلى الرق حتى أنها أعادت الأسرى الذين أرسلهم إليها كولمبس إلى بلادهم وأصلحت قوانين الكنيسة وجعلت الكلمة الأولى للعدالة قبل شفاعة أي إنسان، وكانت إيزابيلا راجحة العقل قوة الشخصية، حتى صار الأسبانيون يتعلقون بذكراها إلى اليوم.

بكارة الهلالية

كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والبلاغة، وكانت شاعرة مجيدة وخطيبة مفوهة وقد حضرت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرب صفين، ولها هناك خطب حماسية جعلت كل من يسمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب.

دخلت بكارة على معاوية بعد أن استتب له الأمير وهو إذ ذاك بالمدينة وكانت قد أسنت وغشي بصرها وهي ترتعش بين خادمين لها قسمت وجلست ورد معاوية السلام عليها وسألها عن حالها وفي هذه الأثناء أخذ بعض الحاضرين يوغرون صدره ضدها مما سبق أن قالته ضده أثناء تشبعها لعلى.

ولما انتهوا من حديثهم قالت أنا والله قائلة ما قالوا وما خفي عليك مني أكثر.. فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك فاذكري حاجتك فقالت : أما الآن فلا، وانصرفت فوجه معاوية إليها جائزة كبيرة .

حميدة ابنة النعمان

كانت من أجمل نساء العرب، وأرسخهن قدماً في فنون الأدب، وكانت في القرن الأول من الهجرة ونشأت في بيت والدها بين مظاهر العز والأبهة حتى صارت لأجل لما قرينا يوافقها وأفرطت في ذلك حتى كان من فرط اعتزازها بنفسها أنها كلما تزوجت رجلاً ووجدت فيه عيباً هجته بالشعر حتى خشيت القبائل من لسانها.

وتزوجها رجلا يدعى الحرث بن خالد، فلم يلبث أن استحكم بينهما النزاع وأخذت تهجوه بالشعر وكان يرد عليها بمثل هجائها.

ولما استحكم النفور بينهما طلقها الحرث فتزوجها آخر يدعى روح فكان بينه وبينها من ألوان النزاع .. وكانت تهزأ به وتضحك منه ووقعت بينهما مناظرات، ومن أشهرها تلك المناظرة وكان هو البادئ فيها يقول:

أثنـــي علـــى مـــا علمـــت فـــإنني ... مـــثن عليـــك لبـئس حشـــو المنطـــق

فقالت:

أثنـــي عليـــك بـــأن باعـــك ضـــيق ... وبـــأن أصـــلك مـــن جـــذام ملصـــق

فقال:

أثنـــى علـــى مـــا علمـــت فـــإنني ... مـــثن عليـــك مثـــل ريـــح الجـــورب

فقالت:

فثناؤنـــا شـــر الثنـــاء علـــيكم ... أســـوا وأنـــتن مـــن ســـلاح الثعلـــب

فسكت روح عنده ذلك فقالت هي:

وهـــل أنـــا إلا مهـــرة عربيـــة ســـليلة أفـــراس تحللهـــا بغـــل ؟

فـإن أنتجـت مهـراً كريمـاً فبـالحرا وأن يـك أقرافـاً فمـا أنجـب الفحـل

وقال روح:

فمـا بـال مهـر رائـع عرضـت لـه أتـان فبالـت عنـد جحفلـة البغـل

وقالت فيه أيضاً.

سميت روحاً وأنت الفم قد علموا ... لا روح الله عن روح بن زتباع

و كان هو يهجوها أيضاً بأشد من هذا الشهر منالاً حتى اشتهر أمرهما في هذه الناحية، ولكنها كانت أحد منه لساناً، ولما ضاق بها روح ذرعاً طلقها بعد أن دعا عليها بأن يرزقها الله بزوج شديد المراس ينتقم منها عما أسلفت، ولم يلبث أن زوجها بعده الفيض بن عبد الحكم وكان شاباً جميلاً إلا أنه كان يعكف على الشراب وكان سيء الخلق شديداً، فكان يهينها ويضربها حتى تهدمت عزة نفسها وهجرته ومضت فوصفته بأشعار كثيرة أوضحت فيها صفاته السيئة وولدت من زوجها الأخير بنتاً تزوجها الحجاج بن يوسف المشهور بالحجاج الثقفي.

وقدمت حميدة بعد ذلك على ابنتها تزورها فقال لها الحجاج وكان والياً على العراق: إني كنت أتحمل مزاحك من قبل أما اليوم فأنا حاكم فإياك وهذا المزاح .. فكفت عن مزاحها وشعرها في الهجاء وماتت حميدة بعدئذ في الشام في آخر ولاية عبد الملك بن مروان.

مرجريت دي فالوا

من أشهر النساء الكاتبات، وهي شقيقة الملك فرانسوا الأول ملك فرنسا ولدت عام ١٤٩٢ وتزوجت عام ١٥٠٩ بشارل دي قالوا، ولما توفي زوجها عام ١٥٢٧ اشتد حزنها عليه ثم تزوجت من بهده هنري والبرت ملك نافار، وكانت من أشد المتحمسين للمذهب البروتستنتي ولكن صفتها التي اتسمت بها في الناحية الأدبية إذ كانت من المبرزات في ميادينه كما نبغت في الشعر والسياسة والموسيقى، وكانت غيورة على العلم وتحنو على العلماء وتألفهم ولها مؤلف قيم يعد من أشهر كتبها واسمه الهتياتيرون وهو مجموعة قصص على نسق كليلة ودمنة وقد اتخذه لافونتين نبراساً ونموذجاً له في تأليفه لقصصه وحكاياته المشهورة بل انتقى منه موضوعاته التي أقام عليها هياكل كتاباته.

أما مؤلفاتها الأخرى فهي مجموعة من الروايات المثيرة المليئة بألوان الأحاجي والأسرار كما أن لها دواوين شعرية رائعة ولا تزال مكانتها الأدبية إلى اليوم موضع التقدير بين جماهير الأدباء والنقاد. ونعود إلى ذكر مؤلفها الأول الذي ذكرنا بأنه على غرار "كليلة ودمنة" فنقول أنها كتبت القسم الأكبر منه في خلال رحلاتها وتجوالها فجاء آية أدبية وقد أعقبت كل قصة من قصص ذلك الكتاب بتأملات لا تقل روعة ولا أهمية عن بقية القصص ذاتها. وكان لمرجريت دي فالوا عدا نرعتها الأدبية البارزة شغف بالفنون الجميلة وقد شادت لنفسها قصراً فخماً في مدينة

ليون وجمعت فيه أجمل التماثيل والتحف النادرة.

وفي عام ١٥٥٠ كتبت إحدى الكاتبات ترجمة حياتها فجاءت صورة صادقة لحياة سيدة فنانة عظيمة التفكير، والمواهب، وامتازت في أسلوبها بروعة الأداء والتشبيهات الرفيعة

وكانت وفاة مرجريت بعد صدور ذلك الكتاب الذي تناول سيرة حياتها بالمجيد بعام واحد أي عام ١٥٤٩.

وقد احتفل الفرنسيون بها احتفالاً كبيراً وأقيم لها في حديقة اللوكسمبورج تمثال جميل تخليداً لذكراها.

القسم الثاني

عشرون قصة غرام لأشهر العاشقات

الينورا

الينورا ! سيظل هذا الاسم خالداً في سجل الغرام العنيف القاهر، ودلالة على الحب القوي الذي يجتاح أمامه كل الاعتبارات .. وكثيرا ما تغنى الشعراء بهذا الاسم الفاتن كرمز للهوى الجارف الذي يستطيع أن يأتي بالمعجزات وينتصر على الأزمات .. وكذلك وضع الكثيرمن الروائيين مختلف القصص الغرامية التي احتشدت بألوان العواطف المتأججة الثائرة عن حياة الينورا الغرامية.

فمن تكون الينورا هذه؟

إن التاريخ بروي قصتين عن فتاتين بهذا الاسم .. وحياة كل منهما أروع من الأخرى في تاريخ الغرام المشبوب.

أما القصة الأولى فتروى عن الينورا .. الفتاة الأسبانية وفاتنة أسبانيا.. الينورا الجميلة التي لم يكد يراها الفونس الحادي عشر ملك قشطالة حتى جن بها وافتتن واستطار قلبه حباً وهياماً بها .. فتعلق بها وبثها جواه ونجواه .. ولم يلتفت الفونس إلى نصح الناصحين أو نقد الناقدين، بل اندفع في تيار حبه العنيف الجارف لا يلوي علي شيء، وقرب الفونس حبيبته وعشيقه الينورا إليه، بل جعلها في مكانة الزوجة بعد أن هجر زوجته الشرعية، ولو لم تحل اعتبارات سياسية رفيعة دون انفصاله عنها وطلاقه منها لأقدم على ذلك ليفسح المجال لألينورا حتى

تتخذ مكانها كملكة على عرش قشطالة بعد أن ملكت زمامه، ولكنه، لا حيلة بينه وبين تحقيق هذه الأمنية عمد إلى أن تصير لخليلته الصدارة في بلاطه، عازفاً عن لوم اللائمين .. وهكذا تبوأت الينورا به بحبها مكانة السيدة الأولى وصارت هي كل شيء في أسبانيا وإن كان اللقب ينقصها وظلت تستمتع بهذه المكانة نحو عشرين سنة أنجبت في خلالها من الفونس ولدين توأمين هما هنري وفردريك، وقد شاءت الأقدار أن يعتلى هنري العرش يوماً ما.

ووافت المنية حبيبها الملك الفونس عام ١٣٥٠ وهنا أتيحت الفرصة الذهبية للملكة المهانة المغلوبة على أمرها، الجريحة في عزتها وكرامتها لتنتقم من العشيقة الينورا.

فما لبثت الملكية أن ألقت القبض على لينورا في أشبيلية عام ١٣٥١ أي بعد وفاة الملك بعام واحد، ولم يستطع ولدا الينورا من إنقاذ أمها مع ما بذلاه في سبيل ذلك من جهود جبارة وتضحيات فادحة. وكان انتقام الملكة قد أينع وأفرخ.. فاستدعت الينورا المنهزمة على أمرها إلى قصرها، فسيقت إليها مكبلة بالأغلال، وقد علت وجهها الجميل الشاحب ذلة التهذيب وآلام الأسر وإن كانت قد احتفظت بكبريائها المعهود.

ومضت الملكة تذيقها ألواناً من ضروب العذاب، وكانت في خلالها كسيرة الفؤاد محطمة القلب .. ثم أمرت الملكة بشنقها خنقاً .. ولم يسترح قلب تلك الملكة ولم يهدأ انتقامها إلا بعد أن تم شنق غريمتها

أمامها شخصياً وبحضور ولدها بطرس.

أما قصة الينورا الأخرى فهي لا تقل روعة عن الأولى.

كانت الينورا قرينة لأحد الأشراف ويدعى دون جوان، وكانت بديعة التكوين رائعة الجمال وكانت من أصل كريم، أما زوجها فكان ثريا واسع الثراء استطاع أن يظفر بها بغناه الطائل وإن كان يكبرها سناً. وقدم درن جوان زوجته التي اصطادها بماله إلى بلاط ليشبونة متفاخراً بها.. فلم يكد يراها فرديناند الأول حتى أسره حسنها،ا فهام بها هياماً عظيماً .. ومضى الملك يقدم لها الهدايا ويتودد إليها، ويبذل قصارى جهده في رضاها ولكنه لم يستطع أن يفوز منها بطائل .. إذ أبت أن تكون عشيقته وكان فرديناند قول تدله في حبها فلم يجد مناصاً من تطليق زوجته ليفسح لألينورا المجال بعد أن جعل زوجها يطلقها.

وعند ذلك عقد فرديناند قرانه على حلم حياته الينورا، فحقق بذلك حلمه الذهبي الذي طالما أذاقه السهد والضنا.

وكانت الينورا امرأة واسعة الأطماع، ذات كبرياء ودهاء، فلما أتيح لها أن تصير ملكة لم تلبث أن أحلت ذوي قرباها أعلى مناصب الدولة، وكانت تخشى أختها أن تتغلب عليها يوماً وتفوز بمكانتها فأوعزت إلى زوج أختها بقتلها ففعل كما تخلصت من سائر أعدائها الآخرين .. ولما صفا الجو أسندت رياسة الوزارة إلى حبيبها .. أنديرو من أعيان قشطالة بعد أن خلعت عليه أسمى ألقاب الدولة وأرفعها وكان الملك فردينا المولع في حبها يطيعها طاعة عمياء حتى ارتضى أن يكتب وصيته أن

تكون حبيبته الينورا وكيلة الملك من بعده! وهكذا أتيحت لها الفرصة أيضاً بإشراك شقيقها أنديرو في حكم المملكة بعد وفاة الملك .. إلا أن ذلك لم يدم طويلاً إذ لم يلبث أن ثار عليها زوج أختها الذي اقترف جنايته من قبل طامعاً أن تكون له الصدارة يوماً .. وليس لأنديزو ... وفي ذات يوم اقتحم زوج أختها ورجاله أبواب القصر وقتل أنديرو وهو في أحضانها .. وهاج الشعب على ملكته لسلوكها العيب ولكنها اضطرت إلى القرار بعد أن خذلها أصدقاؤها وزجت سجينة في أحد الأديرة حيث أمضت باقي أيام حياتها بعد أن مزقت الأحزان قلبها.

اوكتافيا

هذه قصة امرأة نبيلة، تثير فصول حياتها في النفس أروع معاني التمجيد، فقد أهدرت حياتها العظيمة نتيجة لغدر وضيع، وحب آثم.

أما هي فإنها ابنة الإمبراطور كلوريوس من زوجته مسالينا، وأعجب بها في ريعان صباها وهي إذ ذاك فتاة جميلة فاتنة أحد أبطال الرومان ويدعي لوسيوس وهام بحبها. ولكن أمها وقفت حائلاً دون تحقيق أمنية ذلك المحب النبيل، فقد كانت تريد لابنتها منصباً رفيعاً دون أن تنظر إلى قلب فتاتها وما تريده هي ذاتها.

وتحققت للأم رغبتها وزوجتها بابنها نيرون الطاغية الروماني العتيد المشهور، وكانت تقاليد الرومان لا تحرم زواج الأخت، وكان نيرون من زوج آخر غير والدا اكتافيا.

وما كاد نيرون يرتقي العرش حتى طلقها مدعياً أنها عاقر وتزوج بأخرى من عشيقاته وتدعي بوبيا، ولكن الشعب كان يحب اكتافيا ويمجدها، وغاظ بوبيا ذلك فأشاعت بأن اكتافيا كانت تعشق خادماً مصرياً كان يجيد الغناء والنفخ في الناي ولهذا طلقها نيرون. واضطر نيرون أمام إرادة الشعب القاهرة أن يعيدها من منفاها فعادت إلى روما فقابلها الجمهور مقابلة الأبطال وحطموا تمثال بوبيا، فحقدت بوبيا على نيرون لذلك وهجرته .. وهنا ضعف نيرون مرة أخرى أمام بوبيا الوضيعة،

ولجأ إلى استرضائها بأية وسيلة .. لجأ إلى اتسيت الرجل الذي قتل أمه وجعله يصرح بأنه ارتكب الفحشاء مع اكتافيا ووجد في ذلك مبرراً لنفيها إلى إحدى الجزر السحيقة استرضاء لبوبيا.

أما اكتافيا فقد هالها الأمر فقطعت بعض شرايينها لتغادر الحياة ولكن خدمها أسعفوها، إلا أنها كانت قد اعتزمت على الخلاص فدخلت حمامها حيث ماتت اختناقاً بالبخار.

اليزابيت بتروفنا

هي ابنة بطرس الأكبر من زوجته كاترينا الأولى، ولدت عام ١٧٠٩ وتوفيت عام ١٧٦٢ وكانت أشهى أمانيها من بداءة حياتها أن تقضي أيام حياتها مغمورة بفيض الحب، بعيدة عن دسائس الحكم ومؤامرات البلاط، إلا أن الظروف اضطرت لأن تدخل في الحياة العامة وبعد أن صارت إمبراطورة لروسيا وحفلت حياتها بسلسلة عجيبة من المؤامرات المتلاحقة والدسائس المروعة استطاعت أن تنتصر فيها جميعاً .. وقد كانت إليزابيت بتروفنا تؤمن بالهوى .. ومن أجل ذلك أحبت شاباً قوزاقياً مجهول النسب وضيع النشأة وأحبته حباً عنيفاً فلم تجد أساساً من أن تخلع عليه أرفع ألقاب الدولة وتجمله فيلد مارشال وتزوجته سراً وتقول بعض المصادر التاريخية أنه أب ثلاثة من أبنائها.

أمستريس

لا يكاد التاريخ يروي بين صفحاته انتقام امرأة مهانة في قلبها كقصة امسترس، فإن هذه القصة جمعت في ثناياها أروع ما يكتنف قلب امرأة إذا أحبت وامتهن حبها، إنها تصير أشبه بالحيوان المتمرد الكاسر الذي لا يعرف حدوداً أو قيوداً لانتقامه أو النيل من فريسته.

وهكذا كان شأن امستريس .. زوجة دارا ملك فارس، فقد أحبت زوجها وأخلصت له حبها وولاءها وعاشت وإياه سعيدة تكتنفهما حياة هادئة وديعة لا شائبة فيها.

ولكنها ما لبثت أن اشتهت رائحة الخيانة .. أجل .. كان زوجها قد هام بحب زوجة شقيقه ويدعى اروانبت، وأنساه حبها كل شيء فوهبها قلبه، ولكنه عمد إلى إخفاء أمره عن زوجته بكل ما وسعته الحيلة حتى لا تدب الغيرة إلى قلبها، بل أظهر لها حباً منافقاً ليتستر على هواه المدنس، أما أمسترسس فإنها أظهرت بدورها جهلها أو تجاهلها لذلك الحب الآثم حتى تحين ساعة انتقامها.

وأخيراً عانت لامستريس تلك اللحظة التي تشن فيها غيرتها المتأججة في صدرها وحنقها المستعر .. أجل .. كان ذلك في إحدى الحفلات القومية الكبرى الخاصة بأحد الأعياد، وكان من تقاليد تلك الحفلة أن يمنح ملك فارس زوجته أي شيء تطلبه دون أن يرد طلبها ..

فلما كان ذلك اليوم الشرود توجه لذلك سائلًا أمستريس رغبتها في أي منحة أو شيء تطلبه لينفذه على الفور لها.

فماذا كانت تطلب امستريس .. ماذا كانت تطلب من متاع الدنيا وكل شيء أمامها ملك يمينها! تحركت فيها أمنية في أعز أمنياتها جميعاً .. هذه الأمنية هي القضاء على المرأة التي استلبت زوجها والتمثيل بها أشنع تمثيل. فأجابت امستريس بأنها تطلب أن تساق أروانيت لتفعل منها ما تشاء وأسقط في يد الملك ولكنه لم يستطع أن يرد طلبها أمامها، أمرت بجدع أنفها وقطع أذنيها وحاجبيها ولسانها وثدييها .. وطرحت أشلاءها طعاماً سائغاً للكلاب فعلت ذاك دون أن يستطيع زوجها أن يفعل شيئاً دفاعاً عن عشيقته تقديساً لتلك العادة، ولكنه استشاط غضباً وأضمر على التنكيل بها فسارعت هي بدورها إلى قتله .. ولا انتصرت في القضاء على زوجها قدمت للآلهة شكرها على نجاحها بأن قدمت لها ١٤ شاباً من إشراف فارس أمرت بإحراقهم أحياء كتعبير للآلهة عن شكرها وولائها.

بثينة حبيبة جميل

من قبيلة بني عذرة، هام بها جميل بن عبد الله فعرف بها حتى أنه لا يعرف في تاريخ الحب إلا بجميل بثينة.

تزوج بثينة في أول عهدها رجل يدعي نبيه بن الأسود وظل جميل يتردد عليها دون أن ترقى الريب إلى صلتهما .. وكانت بثينة فتاة من أجمل النساء وأرقهن حديثاً .. وغرام جميل بها يعد مثلاً أعلى للغرام العفيف الطاهر الذي لم تدلسه أية شائبة وإن كانت حياتها قد استعرت بالهوى الجارف إلا أنه كان حباً نقياً مثالياً.

تزدحم حياة بثينة وجميل بالمناسبات الكثيرة التي أبدى فيها جميل محو حبيبته بثينة أسمى ألوان الحب وأروعه .. ويقال أن أول لقاء لما كان في واد بغض وكان لجميل بعض الأبل "رعى في ذلك الوادي وكان أهل بثينة في جانب من ذلك الوادي فأقبلت بثينة ومعها صاحبة لما لتشربا من ماء جدول فنفرت منها الأبل، فسبها جميل لأنها انتهرت أبله قبادلته السب هي أيضاً .. فاستحسن سبابها وكانت إذ ذالك في طلعة الصبا وهام بها منذ ذلك الحين وفي تلك المناسبة يقول جميل:

وأول مـــا قـــاد المـــودة بيننـــا بـــوادي بغـــيض يـــابثين ســـباب

وقلنــا لهمــا قــولاً فجــاءت بمثلــه لكـــل كـــلام يـــا بشـــين جـــواب

وتتعدد المشاهد الرامية في حياتها بعد ذلك وخاصة ما كان يتصل منها بانتظار جميل لبثينة بغية لقائها وعدم استطاعتها تلبية دعوته خشية أهلها الذين كانوا يتربصون له، ومقدار الألم الذي كان يعانيه جميل من هجرها له مع أنها كانت تهيم به حتى لقد أقسمت أن لا يأتيها على خلوة إلا خرجت إليه ولا تتوارى منه اعتزازاً بهواها العفيف وارتقاء به ألا يدنسه أحد بأية ريبة أو شك إلا أنها كانت تخشى عليه في الوقت ذاته من غيرة أهلها.

أما جميل فإن النساء الأخريات كن يلمنه على هواه لبثينة التي يجب أن لا تستحق اهتمامه، لأنها لا تواصله وأنه أهل لأية واحدة يختارها منهن. أما هو فلم يرض عن هوى بثينة بديلاً.

وحدث ذات مرة أن التقى جميل وبثينة وكان والدها وأخوها قد عرفا بأمر ذلك الوعد من إحدى جواري بثينة فتربص الاثنان على كثب من مكان اللقاء ليستمعا إلى حديث الحبيبين حتى يعرفا مدي علاقتها وماهية تلك العلاقة واسمها منهما حديثا عجباً إذ ابتدرها جميل بقوله: أرأيت ودي وشغفي بك ألا يستحقان جزاء منك؟ فقلت له: و كيف؟ فقال: ما يكون بين المتحابين .. فقالت له أهذا تبغي؟ أني ما كنت أصدق أن اسمع منك هذا ولو عدت إلى مثل هذا الحديث فلن تري وجهي أبداً .. فضحك جميل وقال: والله لقد كنت أريد أن امتحنك ولو انك أجبتي أو حرضتني على ذلك لضربتك بسيفي هذا أو هجرتك إلى الأبد ألست أنا القائل فيك:

وإنـــي لأرضـــي مـــن بثينـــة بالـــذي لـــو أبصـــره الواشـــي لقـــرت بـــلا بلـــه
بـــلا وبـــأني لا اســـتطيع و بـــالمنى وبالأمـــل المرجـــو قـــد خـــاب آملـــه
وبـالنظرة العجلـى وبـالحول تنقضـي أواخـــــره لا نلتقـــــي وأوائلـــــه

وقال أبوها لأخيها قم بنا فما ينبغي بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها وانصرفا وتركاها. والتقى جميل حبيبها بكثير حبيب عزة وجرت بيمه ها محادثات شائقة عن غرامهما المستعر.

ولما اشتد هري جميل ببثينة أهدر دمه فضاقت الدنيا بجميل فكان يصعد بالليل كثيب رمل ويتنسم الريح من نحو حي مع بثينة ويقول:

أيـــا ريـــح الشـــمال أمـــا تريـنـــي أهـــيم وأننـــي بـــادي النحـــول
هـــي لـــي نســـمة مـــن ريـــح بـــثن ومنـــى بـــالهبوب إلـــى جميـــل
وقـــولي يـــا بثينـــة حســـب نفســـي قليلـــك أو أقـــل مـــن القليـــل

فإذا تنفس الصبح انصرف وكانت بثينة تقول لصويحباتها:

ويحكن إني لأسمع بالليل أنين جميل يحمله إلى النسيم فيقلن لها: اتقى الله فهذا شيء يتخيله إليك الشيطان وليس حقيقة.

وقاسى جميل ألواناً من العنت والضيق من جانب أهل بثينة وتحبنهم الفرصة لقتله ولكن الظروف كانت تساعده في اللحظة الأخيرة من الوقوع بين أيديهم وهم أشد ما يكونون حنقاً وغضباً عليه، حتى أنه في ذات ليلة التقى بها وأمضيا الليل يبت كل منهما للآخر هواه ويتذكران عهود حبهما وأخذتهما سنة من النوم فأغنيا، وكان الفجر قد أشرق وأقبل خادم زوجها

الصغير حاملاً إليها آنية بها لبن للإفطار فرأى جميلاً نائماً في أحضانها فهرع يخبره بالأمر وفي ذلك الحين كانت إحدى جواربها قه تنبهت للأمر فأيقظت بثينة وجميلاً، وانصرف جميل ونامت في موضعه إحدى الجاريات وغطت وجهها فلما قدم زوجها ورفع الغطاء رأى أن النائم ليس هو جميل بل الجارية فخجل واعتذر.

ولا ضاق أهل بثينة ذرعاً بجميل ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يثقون بها تدعي أم منظور فجاءها جميل وقال لها أرى بثينة فأبت ذلك ولم استطع أن يستدرجها وعاد دون أن يستطيع مرآها.

وحال أهلها في أم جميل .. وقد ملأ الأرجاء بشعره فيها وهيامه ها وأخيراً التجئوا إلى أبيه وكان رجلاً فاضلاً لا ثريا وله مقام كبير بين أهله فناشدوه الله والرحم، وسألوه أن يكف ابنه عن فتاتهم وعن تشبيه بها وما يفضحهم به بين الناس فوعدهم بكفه ومنعه ما استطاع تم انصرفوا فدعا بابنه قائلاً له: "يا بني .. حتى متى أنت أعمى في ضلالك ألا تأنف من أن تتعلق في ذات بعل يخلو بها وأنت عنها بمعزل تغرك أقوالها وخداعها وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرة لبعلها ما تضمره الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلاً وغروراً ... فإذا انصرفت عنها عادت إلى زوجها على حالتها المبذولة .. إن هذا الذل وضيم وما أعرف أخيب سهماً ولا أضيع عمراً منك فأنشدك الله إلا كففت وتأملت في أمرك فإنك تعلم أن ما قلته حق ولو كان لها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له وفي النساء عوض..".

فقال له جميل: الرأي ما رأيت والقول ما قلت. ولكن هل رأيت قبلي أحداً قدر أن يدفع هواه عن قلبه أو ملك أن يسلي نفسه أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه؟ والله لو قدرت أن أمحو ذكرها عن قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت ولكن لا سبيل إلى ذلك وإنما هي بلاء ابتليت به .. ولكن أعدك بأني سأمتنع عن الذهاب إلى حبها ولو مت كمداً وهذا هو كل ما أستطيعه.

وقام وهو يبكي فبكى أبوه ومن حضر جذعاً لما رأوا منه من حب لبثينة ثم أنشد قصيدة رائعة منها هذه الأبيات الرقيقة:

ألا مـن القلـب لا يمـل فيـذهل	أفـق التعـزي عـن بثينـة أجمـل
سـلا كـل ذي ود علمـت مكانـه	وأنـت بهـا حتـى الممـات موكـل
فمـا هكـذا أحببـت مـن كـان قبلهـا	ولا هكـذا فيمـا مضـى كنـت تفعـل
فيـا قلـب دع ذكـري بثينـة إنهـا	وإن كنـت تهواهـا تضـمن وتبخـل

والتقى جميل بعمر بن أبي ربيعة فقال له يا جميل قم بنا نذهب إلى زيارة بثينة فقال له أن دوره مهدور فذهب عمر مفرده والتقى ببثينة فقالت له أنني لست على أية حال من نسائك اللاتي يزعمن أن الوجد بك قد قتلهن قول عمر وانصرف.

ولا ضاقت بجميل الحيل وأراد الخروج إلى الشام هجم ليلاً على بثينة وقد وجد غفلة في الحي الذي تقطنه فقالت له أهلكتني والله وأهلكت نفسك! ويحك أما تخاف فقال لها هذا وجهي إلى الشام وإنما جئتك مودعاً فحادثها طويلاً ثم ودعها وقال يا بثينة ما أرانا نلتقي بعد

هذا وبكى بكاء طويلاً وبكت ثم قال وهي تبكي:

ألا لا أبـالى جفـوة النـاس مـا بـدا   لنـــا منـــك رأي بـــا بثـــين جميـــل

وخرج إلى الشام وطال غيابه بها، ثم قدم وبلغ بثينة نبأ قدومه فراسلته مع بعض نساء الحي تذكر شوقها إليه ووجدها به وطلبها للحيلة في لقائه وواعدته في مكان يلتقيان فيه فسار إليها وحدثها وبثها أشواقه وأخبرها خبره بعدها.

ولا رأى أهلاً أنها ليست في دارها .. أدركا أنها ذهبت للقاء جميل فتتبعها أبوها وأخوها فلما رأيا جميلاً هجما عليه .. أما جميل فانتضي سيفه وشدد عليهما فاتقياه بالهرب، وناشدته بثينة بسرعة الانصراف قائلة له: إن أقمت فضحتني وقد يلحق بك أهل الحي فينالك منهم أذى .. فأبى أن يبرح مكانه وقال: أنا مقيم وامض أنت وليصنعوا بي ما أحبوا فلم تزل ترجوه وتلحف في الرجاء حتى انصرف .. ثم هجرته طويلاً وانقطع تلافيهما فترة طويلة وقال في ذلك أشعاراً تذيب القلب لفرط ما فعلت به من رقة وصبابة وشوق وهيام.

وحدث أن أنشد أمام ابن عمه قصيدة عن بثينة ملأها حباً وشغفاً إليها وشوقاً لى اجتلاء طلعتها ولكن ابن عمه ويدعى "روق" أنكر ذلك منه قائلاً له:

"إنك لعاجز ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتركك الاستبدال مها مع كثرة النساء ووجود من هو أجمل منها .. إنك بين فجور أنزهك عنه أو ذل لا أحبه لك أو كمد يودي بك إلى التف أو مخاطرة بنفسك

لقومها" ولكن جميل مضى يحدثه عن حاله حتى رق له قلب ابن عمه وعمل على اجتماعهما معاً بوساطة أحد أهالي حينها والتقيا هنالك وظل وإياها يتناجيان بأعذب المناجاة وأرق ما اشتمل عليه قلباهما من حب عفيف.

وحدث بين جميل وبثينة تقاطع بسبب غيرة جميل من أحد أقربائها ولكن تلك الغمامة لم تلبث أن انقشعت وصالحته بثينة بعد أن كانت قد خاصمته على سوء ظنه تم قالت له انشدني قولك:

تظــل وراء الســتر ترنــو بلحظهــا إذا مــر مــن أترابهــا مــن يروقهــا

فأنشدها إياها فبكت وقالت:

"كالا يا جميل ومن ترى أنه يروقني غيرك!!".

وارتحل جيل إلى مهر وهناك وافته منيته ... وروي عن رجل كان قد شاهد جميلاً لما حضرته الوفاة بمصر قال أنه دعاه فقال جميل: هل لك في أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك فقات اللهم نعم قال: إذا مت فخذ ثيابي هذه واذهب إلى حي بثينة وهنا لك البس حلتي هذه وأنشد هذه الأبيات و مطالعها:

صــدع النعــى ومــا كنــي بجميــل ونــوى مصــر ثــواء غيــر قفــول

فلما قضى وواريته فعلت ما أمرني به فإذا بامرأة تبرز إلى يتبعها نسوة وهي أوفرهن طولاً وجمالاً وكأنها بدر قد بدا في الظلام وقالت لي: هذا والله لئن كنت صادقاً فقد قتلتني ولئن كنت كاذباً لقد فضحتني قلت

والله ما أنا إلا صادق وأخرجت ثيابه فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع نساء الحي ببكين منها ويندبنه حتى صعقت فكنت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وهي تقول:

واسلوى عن جميل ساعة ... من الدهر ما حانت ولا حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها

وقيل أنها كررت هذين البيتين حتى ماتت بعد ثلاثة أيام من سماعها بموت جميل وبذلك انطوت صفحة من أنضر وأطهر وأسمى صفحات الغرام الخالد ولو أنه لم يقل فيها سوى هذين البيتين لكفاها شهرة وفخراً:

هي البدر حسناً والنساء كواكب ... وشتان ما بين المكواكب والبدر

لقد فضلت بثني على النساء مثل ما ... على ألف شهر فضلت ليلة القدر

تيودورا

قلما يعثر الإنسان بين صفحات التاريخ على حياة حافلة بألوان المتناقضات كحياة تيودورا.

أما هي وابنة رجل فقير معدم يدعى كاسيوس، كان يعمل كحارس الدببة في أحد الملاعب، فلما مات أبوها باتت مع أختيها في حالة يرثى لها وكن جميعاً صغيرات لا يتجاوز عمر الكبرى منهن سبع سنوات وكانت ثيودورا حسناء فائقة الجمال، فقيرة إلى أبعد حدود الفاقة، فلم تجد وسيلة للكسب إلا بالانخراط في سلك الممثلات فأعجب الناس بمهارتها .. وتهافت عليها المحبون فكانت تبدل هذا بذاك لتسعد بأموال كل من يهواها ولتحول بينها وبين شبح الفاقة مرة أخري.

وحدث في إحدى الليالي وهي إذ ذاك في القمة من مباذلها وحياتها البوهيمية الملأى بالمتاع أن حلمت حلماً عجيباً بأنها ستصير يوماً ملكة إذا أقلعت عن حياتها التي تحياها .. فاعتزمت أن تغير نسق حياتها كله، وعادت إلى القسطنطينية ونفضت يدها من حياة الخلاعة والمجون كلها واتخذت لما بيتاً عاشت فيه عيشة بر وتقوي وطهر .. تعمل طيلة يومها ليلاً ونهاراً في تهيئة ملابس للفقراء واليتامى .. وتمد يد الإحسان إلى المساكين.

وعرف بوستان ملك القسطنطينية بأمرها، فلما رآها هام بها وأحبها

حباً مفرطاً وصار لا يألف الحياة بدونها كما أعجبه نشاطها وقلبها الكبير وعفتها فاقترن ها بالرغم من المعارضات الكثيرة التي لقيها والعراقيل التي وضعت أمامه للحيلولة دون زواجهما حتى اضطر إغراء عمه إلى تعديل القوانين التي كانت تحرم على الشريف أن يقترن تحت بعيدة أو ممثلة أو امرأة غريبة أو امرأة تائبة ..

ولما تولى بوستنان العرش شارك معبودته أمور الملك وأجلسها على عرشه ووضع التاج القيصري على هامته وهامة تيودورا الممثلة ابنة كاسيوس حارس الدببة!

ولم تنجح هذه الملكة معه بالرغم من خوفها من قدح الحاقدين وتشهرهم بها وبماضيها مما اضطرها إلى اعتزال القسطنطينية واختارت أحد القصور الباذخة في البوسفور.

وساعدت تيودورا زوجها مساعدات عظيمة في إبان حكمه وأنقذته من أزمات عنيفة كادت تودي ملكه بآرائها السديدة مما رفع شأنها لديه حتى فاقت بآرائها آراء مستشاريه بعد أن تحقق من بعد نظرها، ولكن الشعب كان يضمر لها الحقد بالرغم من مشروعاتها العظيمة لضعة شأنها، بيد أن هذا لم يهنها عن الاضطلاع بدورها على أكمل وأرفع وجه مما خلد اسمها في التاريخ.

جنفياف

خلد كثير من شعراء أوروبا حياة جنفياف في أشعارهم، كما جعلتها طائفة من كبار كتابها مادة خصبة وإلهاماً لهم في تأليف طائفة من القصص تدور كلها حول حياتها وحبها العام وما صادفها في سبيلها من الآلام والعذاب .. وهكذا مجدوا تلك الشخصية النبيلة إلى الأبد.

أما جنفياف فقد ولدت في فرنسا عام ٦٨٠ ميلادية وكانت من أجمل النساء وأرقهن وأبدعهن حديثاً .. وكانت في العشرين من عمرها عندما التقت بفتاها سجفريد فتحابا حباً عنيفاً .. حباً سما في قوته حتى سرى في حياتهما كالدماء تغذي شرايين الجسم بالحياة والنماء. وكان سيجفريد فارساً شجاعاً، فاختاره شارل مارتل لقيادة كتيبة من جنده المعد لمقاتلة العرب في المغرب. فلبى رغبته واستودع حبيبته جنفياف بعد أن وكل أمر العناية بها إلى وكيل أملاكه.

ولما رحل سيجفريد تحركت في الوكيل الوضيع سموم الأفعى .. وطمع في امرأة سيده جنهياف وأخذ يراودها عن نفسها ويبثها شجونه ولكنه ألقى نفسه أمام امرأة مذيعة لا تؤخذ ولا تلين، فحقد عليها وأضمر لها السوء بين جنبيه، فلما عاد زوجها وكان رجلاً ساذج القلب، صافي الضمير، أدخل الوكيل عليه الوشاية بأن امرأته خانته في غيبته وأن وليدها الذي ولدته في غيابه ليس ابنه .. فهاج هائجه وصمم على قتلها ووليدها درءاً للعار المزعوم.. وبعث بها بعض رسله ليقتل في غاية بعيدة مع طفلها.

وشاءت الأقدار أن يحنو عليها بعض أولئك الرسل . فأطلقوا سراحها في الغاب وأوهموا سيدهم بأنهم نفذوا مشيئته، أما هي فقد ظلت ترضع ولدها وتحنو عليه دائبة على تربيته حتى ما وترعرع. ودارت الأيام دورتها وعلم الزوج المخدوع أن زوجته بريئة وأن طفلها هو ابنه ... و أن أحدا لم يمسسها بسوء .. فهاله الأمر، وخاصة إذ أعتقد أنها قد ماتت ضحية تسرعه، وندم ندماً مروعاً لا يكاد يبارحه وبينما هو ذات يوم في إحدى جولاته البعيدة بغابة نائية يكفر عن ذكريات الماضي الأليمة إذ لقيها عرضاً، فحسب أن روحها قد تقمصت أمامه شبحاً .. لتزيد من آلامه، وأخيراً أدرك أنها بذاتها بعد ما لمسها بيديه وهولا يكاد يصدق نفسه ذهولاً وارتياعاً .. ومضت تقص عليه قصتها.. وتفجرت أمامه ينابيع الفرح . فبكى سروراً وتأثراً وتعانقاً طويلاً عناقاً لا حد له ..

وتوجه معها وولده إلى قصره .. فخوراً بها، سعيداً بلقياها حيث أمضيا حياتهما هانئين .. وأرادت أن تسجل تلك الذكرى الدامية فأقامت معبداً في الغاب شكراً لله وحمداً .. حيث يفد إليه الناس للذكرى والعبرة!

ديدو

هذه قصة مفجعة من قصص الحب الخالد .. خلد ذكرها طائفة من كبار الروائيين في الغرب لما اشتملت عليه حياتها من التضحية البالغة فألفوا عنها روايات رائعة حافلة بالمواقف المؤثرة العظيمة التي حفلت منها سيرتها، و كذلك خلدها أحد كبار المثالين بأن عمل لها تمثالاً يعد آية من آية الفن وهذا التمثال محفوظ اليوم بدار الآثار بلندن.

كانت ديدو ملكية صور وزوجة ستيا كاهن هرقل الذي كان أغنى رجل في فينيقيا وشاء أخوها أن يطمع في ثروة زوجها وكنوزه فما لبث أن قتله اغتيالاً .. وجزعت ديدو على حبيبها وزوجها جزعاً شديداً ولم تطق أن تحيا في مدينة صور من بعده، ففرت مع أخ آخر لها إلى موقع يبعد عن تلك المدينة بعد أن استطاعت تقل جزء كبير من أمتعتها وثروتها.

وظلت ديدو تطوف من بلد إلى بلد، لا يستقر لها قرار، ولا يهدأ لها خاطر وهي كسيرة الجناح، إلى أن استقر بها المقام بشمال أفريقيا فاشترت قطعة واسعة من الأرض وأنشأت عليها مدينة قرطاجنة المشهورة وكان ذلك عام ٨٦٠ قبل المسيح.

تعرف عليها أياريس فهام بها وشغف بحبها .. أتجه إليها وطارحها غرامه وخطبها لنفسه .. وكان واسع النفوذ والسلطان، فخشيت على نفسها وأهلها وقومها من غضبه، ولكنها كانت قد ارتبطت مع حبيبها

وزوجها المقتول بقسم عظيم أن لا تستبدله بآخر طيلة حياتها!

فماذا تفعل لقاء هذا العرض من أياريس الذي بيده أن يذيقها العذاب ألواناً وينكل بأهله إذا هي رفضت يده؟!

مضت ديدو تفكر..

وهداها تفكيرها إلى أن سألته أن يمهلها ثلاثة شهور لكي تستعد للزفاف عليه، قلبي طلبها مغتبطاً وبقى يعد الأيام بل الساعات التي يظفر بها بعدها بديدو فاتنته.

أما هي فقد أضمرت في نفسها أمراً غير هذا.. إخلاصاً لزوجها وحبيبها الذي عاهدته وأقسمت له أن تظل وفية على عهده بها إلى الأبد وأن تكون له حياً وميتاً.

وفي نهاية تلك المدة التي حددتها ديدو لأياريس تسلقت قمة جبل عال هنالك وطعنت نفسها بخنجر فماتت .. دون أن تسلم نفسها لإنسان بعد حبيها!

راشيل

هذه قصة حياة الممثلة الفرنسية العظيمة راشيل، التي لمع نجمها في سماء فرنسا بل في أوروبا في القرن التاسع عشر، واحتلت مكان الصدارة بين الممثلات جميعاً لمقدرتها الفائقة ونبوغها المنقطع النظير.

ولدت في الرابع والعشرين من شهر مارس عام ١٨٢١ بإحدى قرى سويسرا ونشأت راشيل في أسرة فقيرة معدمة وانتقلت أسرتها من سويسرا إلى ألمانيا ثم استقرت في فرنسا، إذ انتقلت الأسرة نهائياً إلى باريس وكان لراشيل أربع إخوة وأخ ولم يلبث الجميع أن احترفوا المثيل كذلك.

بدأت راشيل حياتها هي وأختها سارة بالغناء متجولة في المقاهي والطرقات لقاء ما يتصدق الناس به عليها حتى استرعى بعض انتباه أحد الأغنياء رواء صوتها ومقدرتها فنفحها هبة يسيرة.

وظهرت راشيل لأول مرة على المسرح الفني في ١٢ يونيه عام ١٨٣٨ ولم يشهدها في أول ظهورها إلا نحو أربعة أو خمسة أشخاص .. ولكن لم يمض سوى ثلاثة أشهر على تلك الممثلة الناشئة حتى صارت أشهر ممثلة في باريس وتوجت ملكة على الممثلات جميعاً وصارت معبودة لأفراد الشعب جميعاً وكانت الدعوات تنهال عليها من كل صوب حتى أنها كتبت إلى بعض أصدقائها تقول: إن الإنسان لا يمكن أن يأخذ حريته في حياته إذا كان مثلاً مشهوراً لدى الشعب

الفرنسي وكان الوزراء والقادة يترددون كل ليلة على مسرحها ووفد على مسرحها كذلك الملك لويس فيليب مرات عدة إكراماً وتقديراً على خلاف عادته.

ولم ينسها نجاحها أهلها بل كانت تعنيهم وترسل إلى المحتاجين منهم ما يطلبونه من مال وعون، ولما سافرت إلى انجلترا لقيت فيها ترحيباً كبيراً وامتدحها حينها جريدة التيمس نفسها التي أطنبت في وصف مقدرتها الفنية.

أما حياتها الخاصة أو على الأصح حياتها الغرامية، فكانت آية شعرية متوترة بينها وبين الشاعر الفرنسي دي الفريد دي موسيه فقد أحبها ذلك الشاعر العاطفي الرقيق حباً جامحاً، وكذلك أحيته هي وكان الفريد دي وسيه يضيع قلمه في مدحها على صفحات الجرائد وإعلاء شأنها، وحدث أن دعته إلى بيتها ذات ليلة بعد التمثيل لتناول العشاء، فلما وصلت إلى منزلها تذكرت أنها نسيت حلبها في المسرح فأرسلت الخادمة لإحضارها وعكفت هي على تجهيز الطعام وتحضيره على المائدة لضيوفها ومن بينهم حبيبها الفريد دي موسيه ولم تخجل أن تقص على الحاضرين ألوان المتاعب والمشاق وحياة التشرد التي عانتها في طفولتها وصباها، وكانت تقص حياتها على مسمع من أهلها الذين كانوا يحاولون جهدهم أن تخفي عن الناس تلك الحقائق الدامية أما هي فقالت اللهم أنها ترى ذاع شرفاً تفاخر به.

وكان الفريد دي موسيه يقرأ لها أشعاره ويتلو علمها أشعار راسين

وغيرهم من مشهوري الشعراء تثقيفاً وحباً لها.

ويروي الفريد دي موسيه عن حبيبته راشيل هذه القصة التي تتم على مقدار ما كانت تسكنه له من الحب فقد حدث أنه كان يتناول طعام الغداء عندها مع بعض المعجبين بها فنظر أحدهم إلى يدها وقال لها ما أجمل خاتمك فقالت له إذا كان قد أعجبك فسأضعه تحت المزاد فدفع أحد الحضور خمسمائة فرنك ودفع الآخر ألفاً وهكذا استمر المزاد على الخاتم إلى أن بلغ ثلاثة آلاف ثم التفتت إلى الفريد دي موسيه وقالت له: وأنت كم تدفع فأجابها إني أدفع محبتي .. فرمت بالخاتم إليه .. وطلبت منه إتمام وعده بنظم دور كانت قد طلبته منه.

ولما توجهت راشيل إلى انجلترا مرة أخرى عام ١٨٥٠ مثلت في قصر الملكة فيكتوريا فأنعمت عليها الملكة بسوار كتبت عليه إلى راشيل من الملكة فيكتوريا، وكذلك حياها دوق ولنجتون بكتاب شخصي خاص. وتوجهت إلى أمريكا ولكنها لم تلق نجاحاً يذكر هناك.

وأصيبت في نيويورك بمرض في صدرها فعادت إلى فرنسا وأشار الأطباء عليها بالقدوم إلى مصر فأتت إليها ولكنها لم تستفد كثيراً إذا أحست بالوحدة والوحشة لبعدها عن أصدقائها حتى لقد كتبت إلى حبيبها تقول: إني سأموت من الوحدة لا من المرض.

وما لبثت أن عادت إلى فرنسا وأخذت تزور الملاعب والملاهي التي كانت تمثل فيها.

ولكن الحياة لم تطاولها كثيراً .. فقد اشتدت عليها وطأة المرض

وثقله، ولم تلبث أن ماتت في اليوم الثالث من يناير عام ١٨٥٨.

ولا ريب أن النجاح الذي لاقته راشيل خلد ذكراها كممثلة ولكن حبها وغرامها بالفريد دي موسيه، خلد ذكراها على نسق آخر في تاريخ الأدب الفرنسي إذ أثرت تأثيراً عميقاً في حياته كان من شأنه أن صارت ملهمته في كثير من أبدع ما أنتجته قريحة ذلك الشاعر العبقري الخالد.

الليدي روسل

كاتبة من أحسن كاتبات انجلترا وأعلاهن شأناً، وهي ابنة توماس روتسلي الذي كان وزيراً لمالية انجلترا، ولدت عام ١٦٣٦ وتزوجت بأمير ايرلندي عام ١٦٥٣ ولكنه لم يلبث أن توفي بعد زواجهما بأربع سنوات فتزوجت من بعده بأحد الأشراف وهو وليم روسل وكان زواجهما آية من آيات الحب القوي، إذ تحاب الاثنان حباً روائياً مثالياً بالوفاء والنقاء، وتعاهدا على أن يجتازا معاً مرحلة الحياة متآلفين جنباً إلى جنب مهما عصفت هما الأفواه والأرزاء.

وحدث بعد زواجهما أن اتهم قرينها بأنه مالئ بعض الخارجين على الملك ما له من قوة النفوذ فقبض عليه وسيق إلى المحاكمة دون أن تعرف لذلك سبباً، وما كان أقسى أن تسمع بأذنيها حكم القضاء على زوجها بالإعدام، إلا أنها لم تهن ولم تضعف بل خرجت من ساحة القضاء عامرة اليقين بأنها ستسعى لخلاص زوجها من محنته .. وظلت توالي الجهاد تلو الجد لتظفر بخلاص رقبته .. ولكنها لم تستطع وباءت جهودها بالفشل.

فلما حانت ساعة الوداع لقرينها الحبيب، عاهدته أن تظل وفية على عهدها له طيلة حياتها منقطعة إلى تربية أبنائه أحسن تربية من بعده، مطلقة متاع الدنيا كله.

وانتحت الليدي روسل مكاناً قصياً بإحدى القرى وعكفت على كتابة أروع إنتاجها الأدبي الذي رفع مكانتها الأدبية إلى الصف الأول بين أدباء ذلك العهد ما خلفته من الآثار الأدبية العظيمة، كما عكفت أيضاً على تنشئة أبنائها أحسن تنشئة إحياء الذكرى والدهم وحبيبها الذي لم تسعد في الحب إلا بحبه.

وأرسل لها الملك يبدي لها عطفه، ولكنها ظلت في مكانها وشاءت الأحوال أن تتغير الظروف وأن يتولى مقاليد الأمور أولئك الذين ذهب ضحيتهم قرينها .. فأتيحت الفرصة لأصدقاء زوجها لتكريمها أجل تكريم وأحسنه وأنعم عليها بأرقى وأسمى نياشين الدولة وأرفعها شأناً.

ولكن الليدي روسل رزئت بفقد ابنها بعد سنوات من الصبر الطويل وهو في الثلاثين .. أما هي فقد عاشت نيفا وثمانين سنة وخلفت وراءها تراثاً أدبياً عظيماً .. كما خلفت سيرة عاطرة كامرأة مناضلة وفية في حبها وعهدها.

مدام رولان

قصة حب مدام رولان، هي قصة الحب العظيم الذي يكون دعامة لعظمة حبيبها وما كان هذا الحبيب إلا زوجها الذي اختارته.

ولدت مدام رولان في ١٧ مارس عام ١٧٥٤، من أبوين فقيرين، أما أمها فكانت سيدة دمثة الأخلاق على عكس والدها الذي كان رجلاً سيء الطباع متذمراً حاقداً على النبلاء إن كان يعتقد أنها السبب في فقره وضيقه وكان لا يفتأ يجاهر بذلك الرأي مع سائر المتذمرين من الفرنسيين إذ ذاك.

تلقت مدام رولان تعليها الباكر في أحد الأديرة وقد أبدت منذ حداثتها إقبالاً على العلم واستيعاب تواريخ الأمم وخاصة التاريخ الإغريق والروماني وأحست إذ تلفتت حولها فرأت ما يعانيه أبناء وطنها من ألوان الجور والظالم بأن المجتمع الفرنسي في حاجة إلى إصلاح شامل يجتث جذور تلك الآفات السيئة التي تغلغلت فيه ويحد من الفوضى العريضة التي كان الإشراف والنبلاء ينعمون بها على حساب الشعب المسكين. ورأت أن انزلاق تلك الطبقة المترفة في ميدان اللهو والمجون هو نذير خطير بانقلاب هائل إذ من المستحيل أن يرى الناس جماعة من الأغنياء يقترفون الأموال وينفقونها بغير حساب في مبادلهم دون أن يتلفتوا إلى إقامة أية دعامة من دعامات الإصلاح.

وفي ٤ فبراير عام ١٧٨٠ تزوجت من رولان وكان يعمل في وظيفة مفتش بأحد معامل ليون، و كان رولان رجلاً قوي الشخصية متعلماً مارس الكتابة حيناً فبدا في ثنايا كتاباته التماع شخصيته، وأحبته مدام رولان حباً فائقاً، أحبته لرجولته المكتملة وشخصيته الفذة حباً قوياً مكيناً، أنذرت حياتها في سبيل رفعة حبيبها وزوجها، فكان بيتها مثلاً أعلى للحياة الهانئة السعيدة كما عكفت على تربية ابنتها وتعليمها بنفسها.

ولمدام رولان الفضل الأكبر على زوجها رولان في ارتفاع نجمه فقد عنيت به منذ الساعة الأولى بل لقد كانت تقوم بإصلاح كتاباته وتقوية براهينه ما كان لها من غزارة علم ومعرفة وقوة بيان، وبذلك طار صيته في بلاغته الإنشائية وقوته البيانية .. وما كادت الثورة الفرنسية تندلع حتى كانت هي من فرسانها الأوائل فبذلت كل قواها في تحريك الخواطر إليها وحركت زوجها وأصحابها فقاموا بعبء زعامة الثورة في مدينة ليون وتعلقت آمال الشعب رولان وزوجته في رفع نير المظالم عن أعناقهم بينما توجس منهما الأشراف خيفة وخطراً ولم يلبث الناس حتى انتخبوا رولان نائباً عن مدينة ليون في مجمع الأمة الذي استدعاه لويس السادس عشر في بداءة الثورة وذهب هو وزوجته في ٢٠ فبراير عام ١٧٩١ إلى باريس وكتبت مدام رولان إذ ذاك مقالاً خطيراً عن حالة البلاد أحدثت وقعاً عظيماً.

وفي مارس عام ١٧٩٢ انتخب زوجها وزيراً للداخلية وأعد أسكنه قصراً فاخر الرياش، ولم تلبث مدام رولان حي طلبت من زوجها أن يشير على الملاك بإعلان الحرب على المهاجرين النبلاء وحلفائهم وكتبت

باسمه كتاباً للملك قوى الحجة عظيم التأثير حتى دهش زوجها من جرأتها و قوة أدلتها ولكن .. كانت نتيجة هذا أن أقال الملك رولان من الوزارة .. فلم تهن عزيمة مدام رولان بل أشارت على قرينها بأن تعرض الكتاب على مجلس الأمة ليعلم الشعب سبب إقالته ففعل هذا .. قعد في نظر الناس ضحية وطنية وهاجت الأمة بأجمعها حتى التزم الملك أن يعيده إلى منصبه ثانية فكانت مدام رولاند سبباً في إقالته وإعادته!

وحاول اليعقوبيون إبان كانت الأسرة الملكية الفرنسية في السجن تهيج الشعب على مدام رولان بحجة أنها حاولت مساعدة الملك على الفرار واستعانوا على ذلك بوسائل شتى ولكنها استطاعت بقوة حجتها ودفاعها المجيد أمام الجماهير التي حضرت محاكمتها أن تخرج بريئة الساحة مرفوعة الرأس.

وكان دانتون ومارا وروبسبير وغيرهم من الأقطاب يناصبونها العداء خشية ازدهار نجمها لما لمسوه فيها من البلاغة والبيان الرائع وسعة الأفق ومع أنها أسدت إلى روبسبير جميلاً بأن خلصت حياته من الاغتيال لما ثار الشعب وأرادوا قتله حنقاً عليه – في المرة الأولى – عندما التجأ إلى منزل رولان في منتصف الليل .. فإن روبسپير هذا لم يقابل جميلها إلا بالإساءة وقد سجل الشاعر لامرتين هذا العمل المخزي في حديثه عن الثورة الفرنسية بالاحتقار البالغ لروسبير .. إذ أنه عندما تفرد بالنفوذ لم يحجم عن إلقاء القبض عليها في أعقاب ثورة عام ١٧٩٣ وأمضت أيامها في السجن تعكف على تشجيع المسجونين والاطلاع غير هيابة أو وجلة. وفي أكتوبر من تلك السنة حكم عليها

بالإعدام بالجيلوتين فسيقت إلى المقصلة وقالت جملتها المشهورة "أيتها الحرية كم من ذنب يرتكبه الناس باسمك"!!

وكان عمرها عند مصرعها تسعاً وثلاثين سنة..

أما زوجها وحبيها رولان فانه لم يطق الحياة بعد معبودته فآثر الانتحار وترك كتاباً جاء فيه: لم يعد لي صبر على البقاء بعد موت زوجتي وحبيبتي في عالم ملوث بالدماء.

عدى الأسدية

هذه قصة حب نبيل من أرق قصص الحب التاريخية وأدماها واسماها، حفلت بمكانة رفيعة من الحب الطاهر الذي اشتمل عليه قلبان وضحيا في سبيله كل شيء حتى بالحياة نفسها.

أما سعدى فكانت شاعرة موهوبة، مرهفة الحس، واسعة الخيال نبيلة المشاعر .. ولم يلبث أن أحبها فتى من قومها وهام بها وجداً. واستلب هواه كل نفسه فأولاها حياته وصارت عنده شاغله الذي لا يبرح وجدانه.

وعرف والده بأثر هذا الحب فانتهر ابنه على ذلك، إذ كان يمنى نفسه بزواج ابنه من فتاة أرفع شأناً وأكثر جاهاً من سعدي، ولكن الفتى أبى ذلك .. وأراد والدها أن يدرأ عن نفسه الشبهات بعد أن يئس من ذلك الحب فزوج ابنته من رجل آخر، فهال فتاها ذلك واشتد وجده واعتراه السقم والضنى، وحدث أن لقي الفتى بوده فأنشد أبياتاً من الشعر بما يعتلج في قلبه من الصبابة والأسى فأجابته أبيات من الشعر تعد من أبدع ما احتواه الأدب العربي لفرط ما فيها من لوعة وهيام وألم ومنها:

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي ... كفاني ما بي من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعتريني وزفرة ... تكاد لها نفسي تسيل من الوجد
غلبت على نفسي جهاراً ولم أطق ... خلافاً على أهلي بهزل ولا جد

ولـــم يمنعنـــوني أن أمـــوت بـــزعمهم غدا خوف هذا العار في جدث وحدي

فـلا نفـس أن تـأتي هنـاك فتلـتمس مكـاني فتشـكو مـا تحملـت مـن جهـد

فلما كان اليوم التالي لهذا اللقاء المؤثر .. جاء حبيبها فوجدها ميتة وقيل أنها ماتت أسى وحزناً وقيل أيضاً أنها انتحرت خلاصاً من الحياة بعد أن حيل بينها وبين حبيبها .. فأحتمل الفتى جثمانها خفية ومضى به إلى جبل ولم يفارقها .. ومات إلى جانبها والناس يعجبون لسر اختفائهما ولا يعرفون حقيقة مأساتهما وأنهما آثرا الموت على تلك الحياة، فأنفذت سعدي في نفسها القضاء .. فلما رأى حبيبها ذلك هانت عليه الحياة كلها وآثر هو أيضاً أن يلحقها حتى ينعما في الممات بما حرما منه في الحياة.

ومضت فترة طويلة، وبينما كان أحد الناس ماراً بذلك الجبل وجد جثتاها جنباً إلى جنب فاحتفروا لهما قبراً واحداً كرمز على حب خالد.

عزة حبيبة كثير

تعتبر قصة غرام كثير بعزة من أشهر القصص وأرقها، وكان لقاؤهما الأول عندما ذهبت عزة لتشتري كبشاً من غنم كثير، ولما نظر إليها وتأملها هام بها فأعطاها ما تريد ولم يقبل منها مالاً، ولم تلبث عزة بها ذلك أن هامت به هي الأخرى وقد قال كثير في عزة ألواناً من الغزل الشعري من أعذب ما نطق به شاعر وكان كثير يلقي ألواناً من العنت من قوم عزة حتى لا يراها فقال في ذلك:

يزهـدني فـي حـب عـزة معشـر قلـوبهم فيهـا مخالفـة قلبـي
وقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلـب لا بـالعين ينظـر ذو اللـب
وما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسـمع الأذان إلا مـن القلـب

وحدث أن دخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الحق الذي ما طلت كثيراً في واته إذ يقول:

قضـى كـل ذي ديـن فـوفي غريمـه وعـزة ممطـول معنـى غريمهـا

فقالت لها لقد وعدته بقبلة، فقالت لها أم البنين: أنجزيها وعلى أثمها. ودخلت عزة ذات مرة على عبد الملك بن مروان فقال لها. أترووين قول كثير:

لقـد زعمـت أنفـي تغيـرت بعـدها فمـن ذا الـذي يـا عـز لا يتغيـر

تغيـــر جســـمي والخليقـــة كـــالتي عهـــدت ولـــم يخبـــر بســـرك مخبـــر

واتفق مرة أن خرجت عزة إلى مكة مع زوجها وكان لكثير إبل كثيرة فسلمت عزة على جمل منها فبلغ كثيراً ذلك فجاء إلى الحمل فخل وثاقه وأطلقه من الحمل وأنشد:

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت فحي ويحـك من حياك يا جمل

لو كنت حييتها ما زلـت ذائقة عندي ولا مسك الإدلاج والعمل

ليت التحية كانت لي فأشكرها ... مكان يا جمل، حببت يا رجل

واتفق مرة أن طلب زوجها أن تحضر سمنافي إناء فلقيت كثيراً في طريقها فأحضر وعاء كبيراً وظل يسكب السمن في إناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعر حتى غرقت ثيابها وأرجلها بالسمن فلما رجعت أنكر زوجها ذلك وسألها ملحفاً فأخبرته بالحقيقة فاقسم ليضربنها إذا لم تشتم كثيراً بحيث يسمعها ففعلت فأنشد كثير:

يكلفهـا الخنزيـر شـتمي ومـا بهـا هـواني ولكـن للمليـك اسـتذلت

هنيئـاً مريئـاً غيـر داء مخـامر لعـزة مـن أعراضـنا مـا اسـتحلت

ودخلت عزة ذات مرة على كثير وهو يبري سهاماً فجعل ينظر إليها ويبري ساعده فأقبلت عليه ومسحت الدم بثوبها وماتت عزة قبل كثير فرثاها بشعر من أخلد وأروع ما حفلت به كتب الأدب.

فيدرا

تعتبر قصة فيدرا من أقدم قصص الغرام وأحفلها بالمشاهد المتباينة، وهي في الواقع مجموعة من المشاعر والعواطف المتباينة وفيها نرى الحب الآتي كما نرى الحب الطاهر النبيل.

كانت فيدرا قرينة لأحد ملوك أثينا الأقدمين في العصر الأغريق وحدث أن سافر قرينها في احدى الرحلات البعيدة، فهامت فيدرا بحب ابنه المسمى أبيوليت وهو من زوجة الملك الأولى وكان أبيوليت فتى جميلاً فاتناً ولما أحست بفرط وجدها به باحت بسرها إلى وصيفة لها كانت أمينة سرها وتدعى أوتون.. أما أبيوليت فكان يحب فتاة أخرى تدعى أديسيا وكان الملك قد سجنها في إحدى القلاع وكانت الفتاة بدورها تحمل هوي حاراً لابيوليت دون أن يعلم أحد منهما عن الآخر شيئاً.

وأرادت فيدرا أن تنفرد بابيوليت، وساعدها على ذلك غياب زوجها الطويل فأشاعت نبأ موته، وأرسلت وصيفتها إلى أبيوليت تنبئه بموت أبيه وأن فيدرا ستفضله على أن يتولى العرش بدلاً من ابنها الطفل على أن تصير عشيقته.

أما أديسيا فقد أطلقت فيدرا سراحها دون أن تعرف ما بينها وبين أبيوليت من الحب الصامت النبيل ... وفي ذلك الحين، وبعد أن رتبت فيدرا أمرها لتنال بغيتها من ذلك الحب المجرم، حضر الملك فجأة بعد

غيبته الطويلة فأسقط في يد فيدرا، ولكنها كانت امرأة واسعة الحيلة، ماكرة، فهبت للقاء زوجها دامعة العين، فرحة بمقدمه وشكت إليه ابنه أبيوليت الذي أراد اغتصابها والاعتداء على عرضها.

وهنا ثار الملك على ابيوليت ولكنه لم يشأ أن يفضح أمرها ومضى في رحلة بعيدة، وبينما هو في رحلته إذ لقى حيواناً مفترساً فناضله ولكن الحيوان انتصر عليه أخيراً فلما رأى ابيوليت نفسه في النزع الأخير أفضى إلى أحد أخصائه بحقيقة أمر فيدرا معه وحبه المكين لاديسيا طالباً منه أن يذكر لأبيه ذلك كله وأن يتزوج والده اديسيا بعد أن حال الموت بينهما وأن هجر امرأته الخائنة.

وكانت اديسيا قد ذهبت لتلحق بحبيبها ابيوليت فهالها الأمر إذ لحقت به وهو جثة هامدة.

وذهب رسول ابيوليت إلى الملك وأطلعه على الحقيقة الدامية فذهل من شناعة الجريمة التي اقترفتها فيدرا.

ولما رأت فيدرا افتضاح أمرها، تناولت سماً زعافاً وتوجهت إلى الملك وأخبرته بالحقيقة الدامية و بأنها قد دفعت ثمن وصمتها بأن قتلت نفسها بالسم ثم فاضت روحها.

وحزن الملك على ابنه ابيوليت حزناً شديداً وحقق له أمنيته الأخيرة بأن تزوج من اديسيا.

لطيفة الحدانية

توفى والدها وتركها صغيرة في كفالة عمها وكانت رائعة الجمال، رقيقة الحاشية وتلقت في بيت عمها ألواناً من الأدب حتى بزت غيرها، وكان لعمها ابن يدعى واصف وكان شاباً نبيلاً سامي الأخلاق، رفيع الصفات، فلما بلغت لطيفة مدارج الصبا، أحست نحوه بحب جارف طاغ، و كانت تنظر إليه من قبل معجبة برقة حاشيته، وتكتمت لطيفة هواها فمرضت وكانت زوجة عمها امرأة فطنة مجرية فامتحنها فألفتها تغيب عن حسها أحيانا فإذا دخل الفتة استفاقت والتمست الطعام بعد أن تكون قد عافته وزهدت فيه، فأخبرت أباه فرحب بذلك وزوجه بها.. وسعدت لطيفة بحب فتاها بعد أن صارت زوجته وهو يأمرها أن تكون دائماً متزينة قائلاً لما أنه لا يحب أن يراها إلا في أبهى زينتها. وأمضيا معاً أياماً حاملة بالهوى .. ولكن الشاب لم يلبث أن مرض ومات.

أما لطيفة فقد صدمها موته صدمة عنيفة، والتاث عليها الأمر حتى كادت تفقد عقلها ورشدها وكانت تتزين بأنواع زينتها كعهدها وتمضي إلى قبره وتظل عنده وهي باكية منتحبة إلى مغيب الشمس.

قال الأصمعي مررت أنا وصاحب لي بالمقابر فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها علام ذا الحزن الطويل فأنشأت:

فــإن تســألاني فــي حزنــي فــإنني   رهينـــة هـــذا القبـــر يـــا فتيـــان

وإنـــي لأســـتحييه والتـــرب بيننـــا   كمـــا كنـــت اســـتحييه حـــين يرانـــي

وأخبر الأصمعي هارون الرشيد بأمرها حينما سأله أن يحدثه عن أعجب ما رآه في حياته، فلما علم الرشيد بأمرها كتب إلى عامله بالبصرة أن عمرها عشرة آلاف درهم ففعل وتهيأت للذهاب وقد أنهكها السقم فلم تلبث أن ماتت قبل أن تصل إلى الرشيد .. ويقول الأصمعي آن الرشيد لم يذكرها مرة إلا ذرفت عيناه بالدموع.

لويزا كارولين

وهذه قصة حياة امرأة نبيلة، احتشدت في حياتها ألوان مختلفة من المآسي والآلام وسرت في تلك الحياة الرفيعة ألوان أخرى من الحب العنيف، والهوى الشاعري العجيب.

تنحدر لويزا ماري كارولين من سلالة آل ستورت وولدت في منس بيلجيكا عام ١٧٥٣ وهي ابنة الأمير ادولجوس، وقد تزوجت عام ١٧٧٢ من الأمير شارل ادوارد ستورت حفيد جيمس الثاني والمطالب بعرش بريطانيا بوصفه أحق من غيره بتولية هذا العرش باعتباره من آل ستورت وكان شارل يكبرها بثلاث وثلاثين سنة، وكان زواجها به فاشلاً من بداءته لتفاوت السن بينهما أولاً ولخشونة طباعه وسوء خلقه ثانياً، ولأنه لم يتزوجها إلا العامل واحد وهي أن تلد له مولوداً ذكرا يكون وارثاً شرعياً لبيت ستورت.

أما لويزا فكانت في مقتبل الصبا، فاتنة المحيا، فلما نزحت وزوجها إلى فلورنسا سرعان ما تعارفت إلى الشاعر الإيطالي الذائع الصيت الليجري، فأحبها الشاعر بكل ما في قلبه من حرارة ووجد وتغنى بمحاسنها ولم تلبث الأيام حتى أشعلت في الشاعر الحب نيران الهوى فصار لا يألف الحياة بدونها وكانت لويزا عاملاً مباشراً في إلهاب حسه وإلهامه فألف أروع رواياته التراجيدية.

وكانت لويزا قد احتفظت بالأمانة الزوجية المقدسة فلم تهنها أبداً ولكن زوجها كان غليظا مفرطا في غلظته اضطرت إلى أن تهجره والتجأت إلى أحد أديرة فلورنسا، ثم لم تلبث أن التجأت إلى در آخر بمدينة روما .. وانتهت أنباؤها المثيرة وما تلقاه من هوان إلى مسامع ملك السويد جستاف الثالث فتمكن بنفوذه من فسخ زواجهما واستطاعت بمعاونته من الحصول على مرتب شهري عينته لها الحكومة الفرنسية إلى أن اندلعت نيران الثورة الفرنسية فانقطع عنها.

و بعد وفاة زوجها بعامين، اقترنت بالشاعر الايطالي الليجري سراً وهو حبيبها الذي طالما تمنت أن ترشف و إياه أقاويق حبهما العظيم. ولم تلبث لويزا حتى صار لها في فلورنسا شأن خطير ونفوذ واسع بين كبار رجال الدولة حتى أن نابليون ذاته كان يقدر شأنها ونفوذها.

و بعد وفاة الليجيرى ظلت في فلورنسا، ويقال إنها قامت بعد ذلك بحب مصور فرنسي هناك يدعي فرانسوا ولما ماتت دفنت في نفس القبر الذي دفن فيه حيها الشاعر من قبل.

لبني حبيبة قيس

كانت لبنى من أجمل نساء زمانها وأرقهن شمائل وأعذبهن منطقاً، عدا ما اتسمت به من فصاحة وأدب ودراية بالشعر وهي حبيبة قيس ابن ذريح العذري رضيع الحسين بن على بن أبي طالب وسبب علاقته بها أنه ذهب يوماً لبعض حاجته فمر ببني كعب وقد احتدم الحر فاستقى الماء من خيمة منهم .. وإذا بفتاة تبرز إليه مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الحديث وتناوله إناء الماء .. ثم قالت له ألا نقي نفسك من لفحة الحر بالبقاء عندنا قليلاً، وكان مرآها قد أخذ بلبه وسلبه عقله، فلما أجابها بالإيجاب مهدت له مكاناً ليستريح فيه وجاء أبوها فلما وجده رحب به وأقام قيس عندهم نهاره حتى مغيب الشمس ثم انصرف وهو أكثر الناس شغفاً بها فجعل يكتم ذلك إلا أن ذلك لم يدم طويلاً وغلبه وجده ننطق فيها بالأشعار وشاع ذلك عنه ومر بها ثانية و نزل بدارها فلما اختلى بها شكا لها ما نزل به من حبها فوجدها أشد منه هياماً ووجداً انصرف وقد علم كل منهما بما يعتلج في صدر الآخر من الحب والهيام.

ومضى قيس إلى أبيه وأفضى إليه بمكنون قلبه فقال له دع هذه وتزوج بإحدى بنات عمك فغم عليه وجاء إلى أمه أمكان منها ما كان من أبيه فتركهما وجاء إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وأخبره بأمره فرثى له وتعهد أن يكفيه هذا الشأن فمضى معه إلى والد لبنى فسأله في ذلك فأجاب والدها بأن إشارة منه تكفيه للطاعة ولكن الواجب كما تقضي بذلك

تقاليد العرب أن يتقدم والده بذلك فشكره الحسين رضي الله عنه على ذلك وتوجه إلى أبي قيس حافياً على حر الرمل فقام قيس ومرغ وجهه على أقدام الحسين ومشى معه حتى تزوج قيس بلبني وأدى الحسين المهر من عنده.

ولما تزوج قيس بلبنى عاشا معاً سنوات طويلة كمثل أعلى للحب العظيم والوفاء المقيم ولكن لبنى لم تلد فساء ذلك أبويه وعرضا على ولدهما أن يتزوج من تجيئه بولد فان ذلك أحفظ له وأبقى لماله فامتنع امتناعاً باتاً وقال: لا أسوئها قط وقام يدافع عنها عشر سنين أمام إلحاح والديه إلى أن أقسم والده بأن لا يحيا معه تحت سقف واحد ما لم يطلق لبنى .. فكان إذ اشتد الحر يجيئوه في فيظلل نفسه بردائه وهو في وهج الشمس عملاً بقسم والده الذي أبرمه بألا يظله سقف من الشمس فان أظله فهي طالقة منه .. وظل قيس على هذه الحال .. حتى إذا غابت الشمس يدخل إلى لبنى في تعانقان ويتباكيان وهي تقول له لا تفعل فتهلك .. وأخيراً لم يجد مناصاً من تطليقها فلما أزمعت على الرحيل بعد العدة جاء وقد سأل الجارية عن أمرها وقالت له: سل لبنى فتوجه إليها فمنعه أهلها وأخبروه أنها ترتحل الليلة أو غداً فسقط مغشياً عليه فلما أفاق أنشد:

وإنـي لمفـن دمـع عينـي بالبكـا حـذار الـذي قـد كـان أو هـو كـائن

وقـالوا غـدا أو بعـد ذاك بليلـة فـراق حبيـب لـم يـن وهـو بـائن

ومـا كنـت أخشـي أن تكـون منيتـي يكفيـك إلا أن مـا حـان حـائن

فلما ارتحلت إلى المدينة يئس قيس واشتد شوقه وزاد غرامه وأفضى به الحال إلى أن مرض مرضاً ألزمه الفراش واختل عقله .. فلام

الناس والده على سوء ما فعل فجزع وندم وجعل يتلطف به فلما استشار قومه في دائه اتفقت آراؤهم على أن يجول بإحياء العرب فلعل عينيه تقعان على من تسليه عن حب لبنى ففعل حتى نزل بحي فزاره، فرأى جارية قد حسرت عن وجهها نقابها وهي كالبدر حسناً فسألها عن اسمها فقالت: لبنى فسقط مغشياً عليه فارتاعت وقالت إن لم تكن قيساً فمجنون! ونضحت على وجهه الماء فلما أفاق سألته عن اسمه فإذا هو قيس لبني ... وكان أمرها قد اشتهر عند العرب جميعاً وجاء أخوها وأخبرته فركب دابته حتى عاد به وأقسم عليه أن يقيم عنده شهراً قائلاً له: لقد تألمت لحالتك فأجابه قيس الموافقة على ضيافته .. وكان شقيق الفتاة معجباً به .. بل عرض عليه مصاهرته حتى لامه الناس على ذلك خشية أن يصير عمله هذا من سنة عند العرب فقال لهم: دعوني ففي مثل هذا وليرغب الكرام وألح على قيس حتى زوجه بأخته فلما بلغ لبنى ذلك قالت: أنه لغدار وإني طالما خطبت فأبيت والآن سأجيب، وكان أبوها قد اشتكى قيساً إلى معاوية وقال انه يتغزل بابنته فكتب إلى مروان يهدر دمه وأمره أن يزوج ابنته خالد بن خلده ففعل أبوها ذلك ورضيت هي أيضاً حين علمت بزواج قيس.

ولما بالغ ذلك قيساً اشتد به الهيام فركب حتى أتى محل قومها فقالت له النساء ماذا تصنع و قد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى أتى إلى المحل الذي كانت تقم به فتمرغ به وأنشد:

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا   إلـــى الله فقـــد الوالـــدين يتـــيم

يتـيم جفـاء الأقربـون فجسـمه نحيـل وعهـد الوالـدين قـديم

وحجت لبنى في تلك السنة فاتفق خروج قيس أيضاً فتلاقيا قهت عند مارآها وأرسلت إليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد:

إذا طلعـت شـمس النهـار فسـلمى فايـة تسـليمي عليـك طلوعهـا

بعشـر تحيـات إذا الشـمس أشـرقت وعشـر إذا صـفرت وحـان رجوعهـا

ولـو أبلغتهـا جـارة قـولي اسـلمي بكـت جزعـاً وأرفـض عنهـا دموعهـا

وحين انقضى الحج مرض مرضاً شديداً فأنهكه فأكثر الناس من زيارته فجعل يتذكر لبنى وعدم رؤيته لها وأنشد أبياتا ملؤها الأسى والحسرات وأنه سيلقى حتفه قريباً.

فلما بلغتها تلك الأبيات الرقيقة جزعت جزعاً شديداً وخرجت إليه خفية على ميعاد فاعتذرت له عن الانقطاع وأعلمته أنها إنما تترك زيارته خوفاً عليه أن يهلك وإلا فإن عندها مثل ما عنده من الوجد ولكنها تجالد نفسها.

وجاء قيس إلى المدينة بناقة من إبله لبيعها فاشتراها زوج لبنى وهما لا يعرفان بعضهما بعضاً ثم طلب أن يحضر إليه قيس غداً في دار كثير بن الصلت لينقده ثمن الناقة فجاء وطرق الباب فأدخله وقد صنع له طعاماً وقام لبعض حاجاته فقالت لبنى لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيراً شاحباً فتنفث الصعداء ثم قال: هكذا حال من فارق الأحبة فقالت استخبريه عن قصته فسألته الخادمة عنها فشرع يقص عليها أمره فرفعت

الحجاب وقالت: حسبك قد عرفنا حالك .. فبهت قيس حين عرفها ومضت عليه ساعة لا ينطق بلفظ واحد ثم خرج هائماً على وجهه فاعترضه الرجل وقال له: ما بالك؟ عد لتقبض مالك .. وإن شئت زدناك فلم يجبه. ومضى فدخل الزوج على لبنى فقالت له ما هذا؟ أنه قيس! فأقسم أنه لا يعرفه وأنشد قيس معاتباً نفسه:

أتبكـي علـى لبنـى وأنـت تركتهـا وكلـت عليهـا بـالملا أنـت أقـدر

فـإن تكـن الـدنيا بلبنـى تقلبـت فللـدهر والـدنيا بطـون وأظهـر

كـأني فـي أرجوحـة بـين أجبـل إذا فكـرة منهـا علـى القلـب تخطـر

وقصد قيس إلى معاوية، فمدحه فرق له معاوية وكان قد أهدر دمه وقال له: إن شئت كتبت إلى زوجها بطلاقها فقال: لا ولكن ائذن إلى أن أقيم ببلدها فأذن له فنزل بحبها وتضافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض وإضرابهما من كبار المغنين وقصد قيس إلى ابن أبي عتيق وكان مشهوراً بين أهل زمانه بالمروءة فذهب ابن أبي عتيق إلى الحسن والحسين وأخبرها أن له حاجة عند زوج لبنى وطلب منهما أن يعيناه على قضاها فرضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في طلب ابن أبي عتيق وهما لا يعرفان الغرض منه فقال زوجها سلوا ما شئتم فقال ابن أبي عتيق إني أسألك أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندي فقال الرجل أشهدكم أنها طالق فاستحيوا منه وعوضه الحسن رضي الله عنه بمائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت ونقلت لتفي عدتها وعاتبت لبنى قيساً على زواجه فحلف لها أن عينيه لم تكتحلا برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة

وانه لو رآها لم يعرفها وأخبرته أنها كانت كارهة زوجها وأعلمته أنها لم تتزوج به رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليتخلى عنها وتوفيت لبنى وهى في فترة العدة فلما بلغ قيس ذلك خرج ووقف على قبرها وأنشد:

ماتـــت لبنـــى فموتهـــا مـــوتي هـــل ينفعنـــي حســـرة علـــى الفـــوت

إنـــي ســـأبكي بكـــاء مكتئـــب قضـــى حياتـــه وجـــداً علـــى ميـــت

ثم بكى حتى أغمى عليه ومات بعدها بقليل ودفن إلى جانبها وله فيها أشعار كثيرة منها:

إذا خـدرت رجلـي تـذكرت مـن لهـا فناديـــت لبنـــى باســـمها ودعـــوت

دعـوت التـي لـو أن نفسـي تطيعنـي لفارقتهـــا فـــي حبهـــا فقضـــيت

بـرت نبلهـا للصـيد لبنـى وريشـت وريشـــت أخـــرى مثلهـــا وبريـــت

لمـــا رمتنـــي أقصـــدتني بنبلهـــا وأخطأتهـــا بالســـهم حـــين رميـــت

فيـا ليـت أنـي مـت قبـل فراقهـا وهـــل يـــنفعن بعـــد التفـــرق ليـــت

ومن أرق وأسمى ما قاله عندما سأله الطبيب عن تاريخ حبه ووجده بها:

تعلــق روحــي روحهــا قبــل خلقنــا ومـن بعـد مـا كمـا نطافـاً وفـي المهـد

فـــزاد كمـــا زدنـــا وأصـــبح ناميـــاً ولـــيس إذا متنـــا بفقصـــم العقـــد

ولكنـــه بـــاق علـــى كـــل حـــادث وزائـــراً فـــي ظلمـــة القبـــر واللحـــد

ماريا تريزا

هذه قصة امرأة بطلة من بطلات التاريخ، أحبت زوجها أسمى حب وأنبله فنذرت حياتها لنصرته وأحبت بلادها حباً لا يدانيه في الحياة شيء آخر فوهبت شبابها وصحتها وتفكيرها وروحها لرفعها وخلاصها.

أما ماريا تريزا هذه فهي ابنة كارلوس الرابع إمبراطور النمسا ولدت عام ١٧١٧ وتزوجت بدوق كوستا عام ١٧٣٦ ولما توفى والدها عام ١٧٤٠ ورثت الملاك عنه واشترك زوجها الحبيب إليها فيه، وقد قامت بعبء هذا المنصب الخطير والبلاد تئن تحت وطأة الدين والخسائر الفادحة التي لحقتها بسبب حرمها مع روسيا وبعض الدول الأوروبية الأخرى، وازدادت هجمات تلك الدول بعد وفاة والدها واستولت كل دولة منها على مقاطعة من النمسا فاستولى فريدريك الأكبر ملك روسيا على سيسيليا وهي أخصب مقاطعات النمسا وأغناها واستولت أسبانيا ونابولي على أملاكها في ايطاليا فتقطعت أوصال مملكتها ولكن هذا لم يهن في عزيمة ماريا تريزا لقلبها الكبير وحكمتها ودرايتها والتجأت إلى رعاياها المجريين فأنجدوها وقيل أنها جمعت كبار أعيان المجر في قصرها ودخلت عليهم حاملة ابنها ولى العهد وكان طفلاً وأخذت تخاطبهم باللاتينية وحثهم على الدفاع والترود عن الوطن وكان جمالها مفرطاً وكلامها عذباً وبلاغتها تأخذ جامع القلوب فسحر المجريون بها ورقوا لدموعها وجردوا سيوفهم وعاهدوها على الدفاع إلى الموت

واستطاعت بمساعدتهم بمساعدتهم من الانتصار على أعدائها مراراً حتى بعد أن هزمت، وذلك بفضل شخصيتها التي اجتذبت القلوب ابها لفرط جمالها وثقافتها.

ليلى العامرية

هي حبيبة قيس بن الملوح بن مزاحم الشهير بالجنون، ولم يكن مجنوناً إلا من العشق بدليل قوله:

يسمونني المجنون حين يرونني ... نعم في من ليلى الغداة جنون

وكان سبب عشقه انه مر راكباً ناقته وعليه حلتان من حلل الملوك على بعض قومه وكان معهم لفيف من النساء يتحدثن فأعجبهن منظره فاستنزلته من ناقته ليتحادث معهن فنزل وعقر لهن ناقته وأقام معان طيلة اليوم وكانت ليلى من بينهن، فما إن وقعت عيناه عليها حتى هام وتعلق بها ولم يصرف بصره عنها وحاولت أن تشاغله عنها فلم تفلح، فلما نحر الناقد جاءت لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالسكين في كفه وهو ينظر إليها والسكين نتوغل في يده .. فجذيت السكين من يده وهو ذاهل .. ثم سألها عما إذا كانت تحب الشواء فقالت له: نعم! فطرح من اللحم جزءاً على النار وظل يحادثها .. فقالت له انظر إلى اللحم هل استوى؟ أم لا؟ فمد يده إلى الجمر وجعل يقلب بها اللحم احترقت ولم يشعر! فلما رأت ذلك مالها الأمر ولفت يده بقطعة قماش من قناعها .. وذهب وقد تحكم عشقها من قلبه .. واستدعته بعد هذا التحدث إليه وقد داخلها الحب فأمضيا وقتاً طويلاً يتسامران حتى مضى بهما اليوم كلمح البصر!

ولما رأى ذلك والدها حجمها عنه وزوجها من غيره .. ومن أرق ما قالته ليلى عن قيسها:

لم يكن المجنون في حاله إلا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى وأنني قد ذبت كتمانا

وقال له رجل من قومه إني قاصد إلى حي ليلى فهل عندك شيء تقوله لها فقال له أجل أنشدها إذا وقفت بحيث تسمعك هذه الأبيات:

الله أعلم أن النفس قد هلكت باليأس منك ولكني أمنيها
منيتك النفس حتى قد أضر بها وأبصرت خلفاً مما أمنيها
وساعة منك ألهوها ولو قصرت أشهى إلى من الدنيا وما فيها

قال الرجل: فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما أمكنتني الفرصة أنشدت بحيث تسمع الأبيات .. فبكت ليلى حتى غشي عليها ثم قالت:

– أبلغه السلام وأنشدت:

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت إذا ما كان غيرك يجزها ويرضيها
صبراً على ما قضاه الله فيك على مرارة في اصطباري عنك أخفيها

وساء حال قيس لفراقها وتدهورت صحته واختلط عقله ..

وكان آخر مجلس للمجنون من ليلى، أنه لما اختلط عقله وتوحش جاءت أمه إلى ليلى فأخبرتها بحالته وسألتها أن تزوره عسى أن تخفف ما به، وليت رجاءها وقابلته ليلاً خفية عن أهلها فسلمت عليه ثم قالت:

أخبرت أنك من أجلي جننت. وقد فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق فدفع رأسه إليها وأنشد:

قالت جننت على رأسي فقلت لها ... الحــب أعظــم ممــا بالمجــانين

الحب لـيس يفيـق الـدهر صـاحبه ... وإنمـا يصـرع المجنـون فـي الحـين

لـو تعلمـين إذا مـا غبـت مـا سـقمي ... وكيــف تســهر عينــي لــم تلــوميني

وامتحنته ليلى يوماً لتعرف ما عنده من الحب لها فدعت شخصاً بحضرته وأخذت تسامره ثم نظرت إليه فألفته قد امتقع وجهه حتى كاد ينفطر فأنشدت:

كلانــا مظهــر للنــاس بغضــاً ... وكــل عنــد صــاحبه مكــين

تبلغنــا العيــون بمــا أردنــا ... وفــي القلبــين ثــم هــوى دفــين

وأســرار اللــواحظ لــيس تخفــي ... وقــد تغــرى بــذي الخطــأ الظنــون

وكيــف يفــوت هــذا النــاس شــيء ... ومــا فــي النــاس تظهــره العيــون

وسر قيس بذلك حتى كاد يذهب عقله وأنشد أبياتاً رائعة منها:

أظــن هواهــا تــاركي بمضــلة ... مــن الأرض لا مــال لــدي ولا أهــل

مي الغسانية

كان جدها من ملوك العرب الأقدمين واسمها الكامل مي ابنة طلابة ابن قيس بن عاصم الغساني وكانت مي عذبة الحديث، بليغة اللسان رائعة العينين زجاء الحاجبين مر عليها فتى يدعى غيلان وكان غسانياً جميلاً وشاعراً فصيحاً وكان عطشان فإذا به يرى مي جالسة تمشط رأسها وقد أسبلت شعرها الطويل الرخص .. فأسرعت إليه وسقته ... ومضت تحادثه فلما انصرف كان هواها قد تملك قلبه وكان يأتي لزيارتها على الرغم من بعد المسافة بينه وبينها فينشد:

وكنت إذا ما جئت ميا أزورها   أرى الأرض تطوي ويدنو بعيدها

وأقام غيلان على حب مي الغسانية دهراً طويلاً حتى صار وفاؤه لها وتعلقه بها مضرب الأمثال. ونال الهوى من هذا الشاب حتى أذبله وقد أنشد في حبها طائفة من أرق ما جادت به قريحة شاعر ملهم صادق الإحساس مرهف العاطفة ومن أجمل ما قاله:

إذا هبـت الأريـاح مـن نحـو جانـب   بـــه آل مـــي زاد قلبـــي هبوبهـــا

هــوى تــذرف العينــان منــه وإنمــا   هــوى كــل نفــس أيــن حــل حبيبهــا

وأمضى حياته كلها يمجدها إلى أن ماتت وهو يتعبد بذكرياتها ويفاخر بغرامها.

الفهرس

القسم الأول

نساء شهيرات

القسم الثاني
عشرون قصة غرام لأشهر العاشقات